الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

المكان في المجموعة القصصية " شرايين عارية لـ " زكية علال "

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي.

التخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

*- أعزيز حياة.

*- عزيز سامية.

إشراف الأستاذ:

أ. علاوة كوسة.

السنة الجامعية: 2017/2016

SbC 031 000 865

شكر وتقدير

من حسن الخلق وباب التقدير والعرفان أن نتقدما بجزيل الشكر

ووافر الامتنان الى أستاذنا الفاضل

"علاوة كوسة"

على متابعته لهذا البحث الأكاديمي، وتحمله أعباء الإشراف عليه

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الى أعضاء اللجنة المناقشة جراء

تحملها أعباء قراته ومناقشته.

SBC 031 000 865

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم المرسلين

إلى من قال فيهما الرحمن " وقضى ربك أن تعبدوا إلا إياه وبالولدين إحسانا"

الى نور دربي ودقات قلبي ونبع الحنان امي الحبيبة "الضاوية"

إلى الذي تعب وكد لأجل أن يوصلني إلى هذا المستوى أبي "أحسن"

إلى من يسعد قلبي بدكرهم إخوتي :خليل، نورالدين، رابح، عادل

إلى زهور الندى أخواتي :حسينة، سامية، سليمة، فطيمة، كريمة

إلى براعم منزلنا :علاء الدين، ضياءالدين، إسلام، رانيا، سرين

إلى من شاركتني أفراحي وأحزاني وتقاسمت معي أعباء هذا الجهد "سامية"

إلى صديقاتي :سهيلة، وهيبة، إكرام، سميرة، وداد، جهينة، عليمة "حياة"

SbC 031 000 865

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبيا المصطفى الهادي الأمين

أهدي هذا العمل المتواضع إلى نور عيني ودربي ولؤلؤة قلبي ونبع الحنان أمي الحبيبة"

سعيدة"

إلى الذي تعب وكد لأجل أن يوصلني لهذا المستوى أبي العزيز " فوضيل"

الى من تركوا بصماتهم و ا رفقوني في كل يوم من حياتي ووهبوني الطمأنينة

والصبر والقوة إلى إخوتي :حمزة، أبوبكر، خاد، حسام، إبراهيم

الى من يسعد قلبي بدكرها إلى التي وقفت أمامي لتحميني من الشر أعدائي

ووقفت خلفي لتدفعني نحو النجاح أختي نسيمة وزوجها فاتح وعصافيرها سلاف، هلال الدين، شهاب الدين، يحي

الى منبع الحب والإعتزاز أخواتي :خديجة، أميرة، ريمة، رشا

الى أعز من عرفت وأفضل من صادفت وكانت سندي في مشواري الدراسي

الى اللواتي قضيت معهن أجمل وأروع ذكرياتي سهيلة، سميرة، جهينة، عليمة، وهيبة، وداد إكرام

"سامية"

SbC 031 000 865

الفصل الأول

في مفهوم المكان

مقدمة

مقدمة

القصة فن من فنون الأدب لم تظهر مبكرا في الأدب العربي، بل ظهرت حديثا، والقصة نفسها تعمل لتكون نسخة من عالم الإنسان وعينة من بعض مناحي حياته، فهي تفصح عنه وتعكس صورته وعلى هذا أصبحنا نقول أن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع المكان.

وهذا الفن يتركب من عناصر متعددة تسمى عناصر القصة وهي: الزمن، الشخصية، الحدث، المكان، ...

وهذا الأخير هو العنصر الذي يعبر عن الجماد في القصة غير أن له دلالات وإيحاءات تجعل القصة لها حركية وحيوية كما أن للمكان القصصي فضاءات تتجاوز الواقع الخارجي، تصنفه اللغة انتقائيا لأغراض التخيل القصصي وحاجاته، فالمكان في القصة قائم في خيال المتلقي وليس في العالم الخارجي، وهذا المكان يثير اللغة من خلال قدرتها على الإحياء، لذلك نرى للمكان تلك الأهمية الكبيرة في العمل القصصي فهو دائم الحضور فيها.

وإخترنا المجموعة القصصية شرايين عارية ل " زكية علال " نموذجا لهذه الدراسة، هل عنصر المكان بارز في هذه المجموعة القصصية؟ وهل المكان عند زكية علال يلقى الاهتمام الكبير منها؟، وهل احتضنت القصة عنصر المكان؟ وما مدى قرب أو بعد هذا المكان من الحقيقة الواقعية؟ .

وللتساؤلات السابقة الذكر وانجذابنا لهذا المكون القصصي ارتئينا أن نقوم بدراستها.

وبعد مشاورة الأستاذ المشرف قسمنا العمل إلى فصلين إثنين، فصل نظري وأخر تطبيقي، أولا انطلقنا بتمهيد للموضوع، ثم تحدثنا عن مفهوم المكان بنوعيه اللغوي والإصطلاحي، وتعريف علماء اللغة له، أما العنصر الثاني تضمن المصطلحات المقاربة للمكان ثم الفرق بين المكان والفضاء، أهمية المكان، وإلى عنصر أخر هو الوصف والمكان، بالإضافة إلى المكان الهندسي والمكان القصصي ومستويات وتصنيفات المكان.

أما بخصوص الفصل التطبيقي قسمناه إلى ثلاثة أجزاء، القسم الأول يتحدث عن أنواع المكان في القصة، والقسم الثاني عن دلالتها أما القسم الثالث علاقة المكان بالزمن والشخصية والحدث.

وقد إعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج السميائي، وذلك لأنه يختص في البحث عن الدلالات والمعاني.

واهتدينا إلى مجموعة من المصادر والمراجع التي وجدنا فيها ضالتنا وأهم المصادر المعتمدة: غاستون باشلار في كتابه جماليات المكان، وسيزا قاسم بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سعيد يقطين في كتابه قال الراوي البنيات الفضائية في السيرة الشعبية.

وأثناء دراستنا تلقينا صعوبات في بحثنا هذا نترفع عن ذكرها، لكن بعون المولى عز وجل، وإرشاد وتوجيه الأستاذ المشرف واجتهاداتنا الخاصة وفقنا فيّ إكمال هذا العمل.

وفي الأخير نتقدم بالشكر لكل من أفادنا ولو بكلمة وعلى رأسهم الأستاذ المحترم "علاوة كوسة" الذي بذل كل الجهد في إفادتنا ومساعدتنا وتوجيهنا بتقديمه ملاحظاته التي استثمرناها لإكمال دراستنا.

تمهيد

لا سبيل لهذه الأمة إلى ثقافة منظمة منفتحة على نفسها ومن ثم منفتحة على غيرها من الثقافات إلا إذا كان هناك انسجام في طريقة دراسة العلم الجديد وفهم متقارب للجديد فيه، ولا يتم ذلك الانسجام إلا إذا عدنا الى مفرداتنا نميز بينها لنقضي على الفوضى التي تشكو منها الدراسات وذلك ليس هوى أو رغبة وإنما ضرورة تحفزنا إلى تحقيقها، فكان لابد أن نعني بهده الناحية ونثيث مفاهيم عدة من الألفاظ في العربية التي اقتضتها الدراسات اللغوية والأدبية الحديثة، فكل مناحي الحياة في تفاصيلها تشهد على حضور المكان، وتفصح عن أثره، فما من حركة إلا هي مقترنة به، وما من فعل إلا وهو مستوحى لبعض دوافعه، لأن المكان هو قرين الحياة، بل هو مادتها التي تقترح الفعل ونسمح به، وهو الذي يقع عليه الفعل ويتجسم، والفعل هو صانع الذات وصانع الحياة، والإنسان بقدر ما ينظم المكان ينظمه المكان، إنه اختراق متبادل وتفاعل يدخله عبر سيرورة تجربته في الوجود وعبر تشكل تصوراته وخبراته وتشيد منظومة معرفته .

إن المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس فيه نشاطه وأحواله ليس موضوعا مستقرا له فحسب، إنما هو أيضا مكان ثقافي يحول معطيات الواقع المحسوس وينظمها بتوظيفها المادي لسد حاجاته اليومية وبإعطائها دلالاتها من خلال إدخالها في نظام اللغة فاللغة هي المقابل المحسوس لعالم المحسوسات، إنها مخزون مجرد من العلامات ينوب عن عالم الواقع ويحل محله، وهذه العملية مشبعة بالقيمة والدلالة.

والقصة نفسها تعمل جاهدة لتكون نسخة من عالمه وعينة من بعض مناحي حياته، فهي تفصح عنه وتعكس صورته، وعلى هذا أصبحنا نقول إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع المكان، ودوره حيوي على مستوى الفهم والتأويل والقراءة النقدية.

يشكل المكان في الخطاب القصصي المادة الجوهرية للخطاب، وأي إقصاء له إنما هو إلغاء لهوية من هويات هذا الخطاب، وحضور المكان ليس بوصفه إطار تدور فيه الأحداث والوقائع، بل كوعي عميق بالكتابة جماليا وتكوينيا.

القصة القصيرة تجربة فنية جمالية، يمارسها الكاتب وغالبا ما يكتبه يتوجه به إلى القراء، من هنا تبدأ عملية التفاعل المستمرة بين الذات والموضوع، بين الكاتب والقارئ، أي بين الفردي والجماعي، وهي بشكل عام تحاول أن تمثل الحركة العامة في مجتمعها وعصرها وفضائها الجغرافي، وتكاد تكون أكثر الأجناس الأدبية حساسية في قراءتها للمجتمع، فالنسيج القصصي شبكة مألوفة من شخصيات وأحداث ولغة وأزمنة وأمكنة، يشابه نسيج المجتمع في تكوينه من العناصر نفسها.

وعلى هذا الأساس فالقصة تصبح إمتلاكا معرفيا للوضع الإجتماعي في مستوى أول، وإمتلاكا جماليا وفنيا لهذا الوضع وللواقع الإنساني في مستوى ثاني، عندئذ تصير عناصر القصة كعناصر المجتمع والعالم بصوره مكثفة، أو يصير الوجود فيها كونا مصغرا فهي بهذا المعنى تكون مجتمعا مصغرا أو مقطعا من قصة أو مقطعا من مجتمعا.

1 – تعريف المكان:

يعد المكان مهما مند القديم في دوره القوي في تكوين حياة البشر، وترسيخ كيانهم، وتثبيت هويتهم، وتحديد تصرفاتهم، وإدراكهم للأشياء لكونه شديد الالتحام بذواتهم.

1_1 لغة:

المكان من الناحية اللغوية يعني الموضع التابث، المحسوس القابل للإدراك، ويتنوع من حيث المساحة والحجم والشكل، يقول ابن منظور " والمكان –الموضع– والجمع أمكنة – وأماكن جمع الجمع والعرب تقول: كن مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه، وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية " [1]

ويضيف أحمد رضا: "المكان الموضع الحاوي للشيء جمع أمكنة ومكن وجمع الجمع أماكن" [2] وعلى هذا يمكن إدراكه إدراكا حسيا يبدأ أولا: " بخبرة الإنسان بجسده: هدا الجسد المكان أو لنقل بعبارة أخرى مكمن القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوانية للكائن الحي ليتعداه بعدها إلى أقرب مكان إليه وهو الحيز الذي يحتويه كالثياب ثم الغرفة، ثم غيرها من الأمكنة"[3]

والأماكن تختلف شكلا فيها الضيق المغلق والمتسع المفتوح والمرتفع والمنخفض، المنقطع والمتصل، إنها أشكال من الواقع انتقلت إلى القصة وصارت عنصرا من عناصرها.

نظرا إلى المكان في السابق على أنه مجرد خلفية للأحداث والشخصيات لكن الدراسات الحديثة بدأت تفهمه على أنه كسائر العناصر الأخرى للقصة يقوم بدور بفعال في بنائها وتركيبها، منه تنطلق الأحداث وفيه تسير الشخصيات، وقد يشحن بدلالات يكتسبها

[1]– أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: بن منظور، لسان العرب، المجلد 13، دار صادر، ط1، بيروت، 1990 ص 414.

[2]– أحمد رضا: معجم متن اللغة، المجلد 5، دار مكتبة الحياة، بيروت 1960، ص 334.

[3] قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، اتحاد كتاب العرب، دمشق 2001، ص 159.

من خلال علاقته بها، لذلك لابد أن تحظى أسماء الأماكن بعناية أكبر لما تدور فيها من وقائع وأحداث وأقوال، وهذه العناية ستسمح لنا بتحديد موضع الأحداث وأفعال الشخصيات.

وعندما نتحدث عن المكان تتبادر إلى ذهننا مباشرة كلمة الزمان فهو أيضا مكون أساسا للقصة وكأن الثاني يكمل الأول، والأول لا يستغني عن الثاني، حتى أن الدراسات الحديثة إختصرناها في كلمة واحدة (الزمكان) على الرغم من أن المكان يدرك إدراكا حسيا والزمان " يدرك إدراكا غير مباشر من خلال فعلة في الأشياء" [1]

كي نضع المكان في إطاره الحقيقي ونضفي عليه طابع الوضوح والشمولية نحاول في هذا السياق أن نقدم المفهوم البنيوي للمكان، على الرغم من أننا لا نعثر على نظرية محددة ومتكاملة للمكان، ولكن علينا أن نستغل تلك الإجتهادات والآراء التي بحث فيها النقاد وجعلوها أساس نظرتهم الي البنية المكانية في المكان القصصي.

هنالك من فرق بين المكان الطبيعي والمكان في القصة إذ نجد المكان الطبيعي يقصد به المكان الحقيقي في الواقع، والمكان في القصة يقصد به المكان داخل القصة، وقد ميز البنيويون بين هذين المكانين لئلا يكون لبس بينهما أثناء التحليل فذهبوا في آرائهم الى أن المكان في القصة كالمكان الطبيعي موضع ثابت محسوس قابل للإدراك حاو للشيء المستقر، كما أنه متنوع مثل المكان الطبيعي.

ولكن ذلك لا يعني أنهما متطابقين بل يعني أن هنالك تشابها شكليا بينهما مردة أن القاص إصطنع أمكنة تشكل الفراغ في العالم الحقيقي الخارجي كالمقاهي والشوارع والجبال ...

يدل المكان القصصي عند البنيوين على مفهوم محدد والمكان اللفظي المتخيل، وهو مكان تصنعه اللغة بناءا على أغراض التخيل وحاجاته في القصة.

هذا المفهوم الذي حدده البنيويون للمكان في القصة هو أبرز ما في أدبية المكان لأنهم عملوا على ربط المكان في القصة بإمكانات اللغة في التعبير عن المشاعر والتصورات

[1] قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر، ص 259

المكانية، وهذه الإمكانات موظفة لأغراض القصة، وعلى هذا عد في منظورهم النقدي مكون من مكونات القصة، له بنيته المؤثرة في العناصر الأخرى داخل القصة والمتأثرة بها، وجعلوه تشكيلا يجمع مظاهر المحسوسات من أصوات وروائح وألوان، وعنصرا ديناميا في تماسك شخصيات القصة وأحداثها.

فالمكان في القصة ليس كالمكان الذي نعيش فيه يوميا، ولكنه عنصر من العناصر المكونة للحدث القصصي، مهمته التنظيم الدرامي للأحداث سواءا جاء في صورة مشهد وصفي أو مجرد إطار للأحداث، والإشارة إلى المكان دليل على أن شيئا سيجري أو جرى من قبل.

ولمحاولة الوصول إلى مفهوم لفظة المكان " سنسير مع النقد الأدبي الحديث كونه أصبح يستمد ما يستعين به في الحكم والتفسير والتقدير والتوضيح والتحليل من كل ميادين المعرفة كالفلسفة والعلوم البحتة والموضوعات الجغرافية وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها ثم نحاول تسليط هذه المعارف على الأدب" [1]

كما عرف عالم الاجتماع ستوكولوز وشوماخر (المكان) " بوصفه السياق الجغرافي وال معماري للسلوك"[2]، كما عد علم الاجتماع المكان امتداد للجسد ومعبرا عن قاطنيه، فوصف المرء للمكان وانتقاله عبرها يسمح له بالتعبير عن القيم الفردية والجماعية لقاطني تلك الأماكن، ووصف حالتهم الاجتماعية.

أما علماء النفس فيؤمنون بأن " حقيقة المكان النفسية تقول إن الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة من وسائل قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية" [3]

[1] _ حسان عباس: فن الشعر، الجامعة الأمريكية، بيروت، دار صادر_ بيروت، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1996 ص 174.

[2] _ شاكر عبد الحميد: الوعي بالمكان ودلالته في قصص محمد العمري، مجلة فصول، مج 13، ع 4، 1990 ص 249.

[3] _ عزالدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط4، ص 67.

وبهذا التقديم لمفهوم المكان تتضح أهمية وشيوع إستخدامه لما له من مساس بوجود الإنسان ومتعلقاته الشيئية، فضلا عن رؤيته الخيالية والذاتية، فهو مفهوم متناوب بين الذاتية والواقعية في مجمل الميادين العلمية وإن رجحت فيها بين الذاتية والواقعية له، في حين يستقطب هذا المفهوم اهتمام دارسي الأدب كونه يعكس رؤية الأديب فضلا عن واقعيته ووجوده.

2_ المصطلحات المقاربة للمكان من حيث المفهوم

2_1: الامتداد:

الامتداد هو الغاية من الزمان والمكان، وقد ورد مصطلحا فلسفيا على أنه: " جزء من المكان، وهو متناه، أما المكان فغير متناه"[1] ونفهم من خلال هذا القول إشارة إلى أن الامتداد هو جزء من المكان، فالامتداد له محدودية على عكس المكان غير محدود، أما في الفلسفة الحديثة فيعد:" الامتداد جزءا من المكان كقولهم: الامتداد خط محدود، أو سطح محدود، أو حجم محدود وتكون نسبة الإمتداد في هذه الحالة إلى المكان كنسبة المدة إلى الزمان" [2].

2_ 2 البيئة:

يختلف مفهومها باختلاف الميادين التي تستخدمها، ففي ميدان العلوم البحثة هي – بإختصار شديد– "القشرة الأرضية، والغلاف الجوي"[3] أما في علم الاجتماع وعلم النفس فتطلق اللفظة على " مجموع الظروف والعوامل الخارجية التي تعيش فيها الكائنات الحية، وتؤثر في العمليات الحيوية التي تقوم بها" [4] ، وقد أشار الدكتور أحمد الشايب الى لفظة (البيئة) في الدراسات اللغوية والأدبية تدل على " مجموع العوامل المكانية والزمانية الأصلية

[1] _ جميل، صليب: المعجم الفلسفي_ بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية: ج1، شركة عالمية للكتاب، دار الكتاب، اللبناني، بيروت لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص 132.

[2] المرجع نفسه، ص 132.

[3] هاني عبيد: الانسان والبيئة _ منظومات الطاقة والبيئة والسكان، دار الشروق، عمان، الأردن، 2000، ص161.

[4] مصطفى عبد العزيز: مرجع في التعليم البيئي لمراحل التعليم العام، ص 15.

أو الطارئة التي تتوافر في بقعة ما، ويتكون منها جميعا" [1] فالبيئة بهذا الحد حاوية للمكان فضلا عن الزمان والتيارات الاجتماعية.

2_3 الحيز:

من الألفاظ المرادفة أو المتعلقة بلفظة المكان التي حظيت باهتمام دارسي المكان في الأدب " وهو في اللغة من التحور: التلبث والتمكث... والحوز من الأرض أن يتخذها رجلا ويبين حدودها فيستحقها فلا يكون لأحد من حق معه"[2] وبهذا فإن مصطلح الحيز مقتصر على ما تحد له حدود مميزة.

أيضا يشير الحيز إلى المكان المحدد لا المكان المطلق، وإن كان يصعب تحديد أبعاده بالنسبة للإنسان" [3].

2_4 الخلاء:

وهو صفة من صفات المكان، ففي اللغة: " خلا المكان والشيء يخلو خلوا وخلاء وأخلى إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه" [4] والخلاء عند الفلاسفة من " خلو المكان من كل مادة جسمانية تشغله"[5] وبذلك يكون الخلاء صفة للمكان.

2_5 الفسحة:

جاء في لسان العرب الفسحة من " السعة، فسح المكان فساحة وتفسح وإنفسح، وهو فسيح وفسح"[6] وهم ما ينصرف لإستعمال إليه في أغلب الأحيان، كما نجد أيضا " أن أول

---

[1] أحمد، الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة، القاهرة، ط10، 1994، ص 221.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة حوز، ص 26.

[3] أحمد طاهر حسين: جماليات المكان مجموعة الباحثين، بحث ظروف المكان في النحو العربي وطرق توظيفه في الشعر، ص 05.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة خلا، ص 31

[5] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 126.

[6] ابن منظور، لسان العرب، مادة فسح، ص 86.

من انتبه إلى مفهوم الفسحة هو الجغرافيون عند إنتقالهم في هذا القرن من الجغرافية الطبيعية المكانية إلى الجغرافية البشرية حيث تتحول الأشياء الى علائق فيما بينها وبين البشر" [1].

وحسب رأينا نجد أن هدا الرأي غير مألوف يقترب من مفهوم لفظة البيئة أكثر من لفظة الفسحة.

2_6 الفضاء:

الفضاء يعني المكان الواسع أي الإتساع والانتهاء، فالفضاء هو الذي يحدد المكان الذي هو جزء من الفضاء، أي المكان هو حقيقة ملموسة في الفضاء بحيث يؤثر ويتأثر به.

ونجد الدكتور إبراهيم الجندري استقصي مصطلح الفضاء وخرج بحصيلة مفادها أن " الفضاء أداء يشمل على المكان والزمان لا كما هما في الواقع، ولكن كما يحققان داخل النص مخلوقين ومحورين من لدن الكاتب، ومسهمين في تخصيص واقع النص، وفي نسيج نكهته المميزة" [2] فالفضاء يمتلك صفة البعدية مستقل عن الأبعاد المادية الملموسة.

2_7 المحل والموضع:

لم يختلف استخدام هذين اللفظين عند استخدام لفظة المكان في الدراسات الأدبية نجد أن الدكتور محمد عابد الجابري قال " المكان والموضع والمحل كلها بمقر واحد "[3].

3_ المفارقة الإصلاحية بين المكان والفضاء:

إن هنالك ضرورة منهجية تدفع إلى أن نميز بين المكان في القصة والمكان باعتباره فضاء، فالقصة في أحيان كثيرة تحتاج إلى أمكنة عديدة تواكب تطور الأحداث والشخصيات، وعادت ما تأتي طريقة وصف هده الأمكنة وتحديدها بشكل متقطع، وضوابط

[1] أنطوان المقدسي: عندما يصير المكان فسحة، مجلة المسار التونسية، ع 24و25، جوان 1994، ص 26.

[2] إبراهيم الجندري: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2001، ص 25.

[3] محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1996، ص 181.

المكان متصلة في القصص بلحظات الوصف، وهي أيضا تأتي بشكل متقطع تظهر متناوبة مع السرد أو الحوار.

وتغير الأحداث وتطورها يفرض بلا شك تعددية الأمكنة وتساعها أو تقلصها يكون تبعا لطبيعة الموضوع، لذلك لا يمكن أن نتحدث في مكان واحد في هدا النوع الأدبي، إذ أن صورة المكان الواحد تتنوع حسب زاوية النظر التي ينتفض منها.

وقد يعتمد القاص إلى تقديم لقطات متعددة في بيت واحد، تختلف باختلاف التركيز على زوايا معينة وحتى القصص التي تنحصر أحداثها في مكان واحد قد تخلق أبعاد مكانية في أدهان الشخصيات نفسها وينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار هذه الأمكنة الذهنية.

ومجموع هذه الأمكنة يمكن أن يطلق عليها الوجهة المنطقية اسم الفضاء لأن الفضاء أشمل وأوسع من الدلالة الثابتة للمكان، بهذا المعنى يبدو المكان مكون للفضاء، مادامت الأمكنة في القصص غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة فإن فضاء القصة هو الذي يلفها، إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث، فالبيت أو الغابة أو الجبل أمكنة معينة على مستوى الدهن والإحساسات والقصة إن شملت هذه الأمكنة فإنها جميعا.

إن الحديث عن مكان محدد في القصة يلزم دائما " توقفا زمنيا لسيرورة الحدث لهذا يلتقي وصف المكان مع الانقطاع الزمني، في حين أن الفضاء يفترض دائما تصور الحركة داخله، أي يفرض الاستمرارية الزمنية، وقد راي نقاد البنائية قائلا إن الفضاء المجزء يستدعي زمنا منقطعا"[1]

تأتي الحركة السردية لتأكد حضور الزمان في المكان بعد أن ينتهي القاص من وصف المكان، غير أن هذا المكان الأخير ليس هو الذي انتهى وصفه، بل هو الامتداد المفترض له، وبالتحديد ما نسميه الفضاء، وعلى هذا لا يمكن تصور المكان القصصي دون تصور الحركة التي تجري فيه.

[1] حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت،1991، ص 19.

يعد المكان مكون من مكونات الفضاء " فالفضاء بحاجة على الدوام للمكان" [1] وفي نفس السياق يذهب حسن بحراوي في هذا السياق " فالفضاء ليس فقط المكان الذي تجري فيه المغامرات المحكية، ولكن أيضا أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها"[2].

إن الفضاء أوسع من المكان وأشمل، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة القصصية المتمثلة في سيرورة الحكي، تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أو تلك التي تدرك بالضرورة وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكائيه.

وكان من أهم ثمرات هذا الاهتمام النقدي بالمكان التفريق بين المكان والفضاء وجعلهما مصطلحين متمايزين، وعلى الرغم من تنبيه بعض الباحثين العرب إلى هذا الاختلاف في وقت مبكر نسبيا، فقد أدى شيوع المصطلح الأول (المكان) في النقد العربي الى استخدامه دون تمييز على المستوى الاجرائي التطبيقي كما نجد لدى " سيزا قاسم" في دراستها للمكان في كتاب " بناء الرواية" حيث تعترف بوجود مستويين من المكان الأول " محدد يتركز فيه مكان وقوع الحدث، والأخر أكثر إتساعا يعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه أحداث الرواية"[3].

أما جوهر الفرق بين المصطلحين فهو دلالة مصطلح المكان على المكان الواحد المنفرد في العمل السردي، ودلالة القضاء على مجموع الأمكنة التي تظهر في العمل السردي كله وتشكل مسرحا له.

ويؤكد الباحثون أن التفريق بين هاذين المصطلحين في مجال النقد الأدبي "كان إحدى نتائج الإنجاز العلمي الذي أحدثته النظرية النسبية لأينشتاين الذي حدد الفضاء بأنه ينطوي على المكان والزمان والحركة"[4] والفضاء إذا أعم من المكان ليس لأنه يشمل أمكنة

---

[1] حسن نجمي: شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، ط1،ى بيروت، 2000، ص 42.

[2] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990، ص 28.

[3] سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1984، ص 75، 76.

[4] عبد الرحيم مراشدة، الفضاء الروائي، الرواية في الأردن نموذجا، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، 2002، ص 245.

القصة جميعها فقط، ولكن لأنه يشير إلى " ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسيا، لأنه يسمح لنا بالبحث في فضاءات تتعدى المحدد والمجسد، لمعانقة التخيلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء" [1] إذ أن لكل نص فضاءاته وأمكنته الدلالية التي تختلف من زمن إلى أخر ومن قارئ إلى ثان.

4_ أهمية المكان

للمكان أهمية بالغة في النص القصصي، كغيره من النصوص الأدبية الأخرى حيث "يقوم المكان في النص بوظيفة العمود الفقري "[2] فالمكان هو جسد النص وفيه تدور الأحداث وتتوزع عليه الشخصيات حيث يمكن عده " المكان هوية العمل الأدبي " [3]وعلى الرغم من أن قيمة المكان تختلف من عمل أدبي إلى أخر إلا أنه يعتبر أحد العناصر الجوهرية المشكلة في بناء النص القصصي، فالمكان هو هوية العمل الأدبي إذ ما إفتقد مكانيته يفتقد مخصوصيته وأصالته " ويمكن القول إن المكان ليس مجرد وعاء خارجي أو شيء ثانوي بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الأدبي"[4] بل يتجاوز كونه وعاء إذا كان القاص واعيا بسلطة المكان وأدائه القوي داخل النص، وبمقدرته على صدارة العناصر الأدبية دلالة وتشكيلا.

وللمكان أهمية في الدراسات الأدبية المتمثلة في زوايا متعددة الاتجاهات جعلت غالب هلسا يقول " إن العمل الأدبي عندما يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته" [5] كما نحا ياسين النصير هذا المنحى بقوله " إن المكان دون سواه يثير إحساسا ما

---

[1] عبد الرحيم مراشدة: الفضاء الروائي، الرواية في الأردن نموذجا، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، 2002، ص 245.

[2] أحمد شريط: الزلزال، تأويل الشخصيات والمكان، مجلة المساءلة، ع،1، 1991، ص71.

[3] صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2003، ص 13.

[4] إدريس بودبية: الرواية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2011، ص188.

[5] غاستون باستلار: جمالية المكان، ترجمة غالب هالسا، مقدمة المترجم، ط3 المؤسسة الجامعية للدراسة والتوزيع، بيروت 1987، ص6.

لمواطنة، وإحساس أخر بالزمن والمخيلة حتى لتحسبه الكيان الذي لا يحدث شيء بدونه" [1] كما حدد مسارات ثلاثة للأديب يجب أن يحتذيها حين يورد المكان في النص الأدبي هي " أن يصبح مكان القصة أو القصيدة هوية تاريخية أو وطنية وأن يحمل طموحات الأديب الثقافية، بأن يجعله أمام إمتحان ثقافي مع العصر وان يتحول – لدى الأديب– الفعل في المكان فعلا في البحث عن الشخصية المستقبلية والمتطلعة إلى الواقع" [2]

كما أن للمكان في الفعل الأدبي أهمية أخرى تتمثل في إغناء الأوصاف والصور الأدبية، يشترط أن يكون النقل البصري فيها نقلا جميلا مشحونا بالمعاني تترادف بداخله الحقائق والخرافات، فينقل بذلك المكان الواقعي إلى الأدبي من خلال العلاقات المكانية القائمة على اللغة.

لذا فحديثنا عن أهمية المكان لا يمكن أن نحصره في مكان دون أخر، وذلك بان دور الأمكنة يتداخل فيما بينها فينتج توالد بينها وتتحطم محدوديته وتتكشف لنا أمكنة جديدة متخلية تماثل الأمكنة الحقيقية، وذلك بتسارعها إلى ذهن القارئ لتقنعه بحقيقة وجودها وعليه " فإن الأماكن مهما صغرت ومهما كبرت ومهما إتسعت أو ضاقت مهما قلت أو كثرت، تظل في الرواية الجديدة مجموعة من المفاتيح الكبيرة والصغيرة التي تساعد على فك جو كبير من مغالق النص "[3].

إذا كان للمكان كل هذه الأهمية البالغة في الأعمال الفنية عموما، وفي الأعمال الأدبية كلها، فإن للمكان في النص السردي طابعه الخاص، كما يتخد المكان مكانا عليا في القصة القصيرة كجنس أدبي يحتفي بالمكان إحتفاءا خاصا " وتبقي القصة القصيرة في

[1] أبو نواس الحسن بنى هاني الحكيم الدمشقي: إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1986، ص 5.

[2] المصدر نفسه، ص 16.

[3] شاكر النابلسي: جمالية المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1994، ص 276.

تعاملها مع المكان حريصة على الفعل الذي يقع ويحقق الدهشة، والصدمة والمفارقة والمفاجأة"[1].

وبهذه المكانية المرموقة التي بلغها المكان في بنية النص القصصي بوصفه بطاقة تقنية للقصة، ومخزونا دلاليا فإنه يمكن لهذا النص القصصي الإنفتاح على عديد القراءات والإستثمارات في التوقع والتأويل لدى المتلقي.

نستنتج مما تقدم أن أهمية المكان في النص الأدبي ليست في ذاته وإنما لما تؤديه من وظائف يسخرها الأديب لخدمة ميثاقه بالإضافة إلى ذلك فالمكان ينظم الأحداث، إذ يمارس عليها نوعا من القدرية، فلا تتحرك الشخصية إلا من خلاله، وبذلك تظهر العلاقة بين الحدث والمكان كأنها علاقة جدلية.

5_ الوصف والمكان:

الوصف هو الوسيلة الأساسية التي يعتمدها المكان، بمعنى أننا لا نتصور مكانا من دون وصف " وهو محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجي في لوحة مصنوعة من الكلمات" [2]

كما أن السرد ضروري للزمان فالوصف هو المصور للأشياء في المكان، وليس التصوير هو الهدف، وإنما الغرض من ذلك تكوين الفضاء القصصي وخلقه، غير ان إشكالية معالجة الفضاء المكاني فينا – وصف المكان– تبقى مثيرة للآراء والجدل، لأن هنالك من يعالج هذا المكون الحكائي معتمدا ومنطلقا من مفاهيم وتصورات بسيطة تقليدية وقديمة، وهنالك من يعالجه بطرق تجريدية لهذا كان لزاما على القاص أن يوفق بين التصوير الطوبوغرافي وبين أنسية هذا المكان الجغرافي أو الهندسي والإنتقال إلى المكان المنشود، لأنه أساس وهدف العملية الإبداعية التي تجعل من المكان حاملا لقيم ومعان عالية.

[1] محمد الدغمومي: المكان القصصي، مجلة أفاق، منشورات إتحاد كتاب المغرب، ع 81 و 82، 2012، ص 27.

[2] نورة عبدالرحمن: وظيفة المكان في الرواية المعاصرة، شبكة الفن والإعلام الكويتية الخليجية، المنتديات الفنية والإعلامية، الفكر والثقافة، 17_09_2009.

إدن وصف المكان هو العملية التمهيدية التي تكشف للقارئ مختلف الطباع التي تميز الشخصيات وعلاقاتها بالمكان، فمن خلال الوصف يتضح ولو بصورة محدودة بعض ملامح الشخصية التي ستؤنس ذلك المكان أو الفضاء، وسرعان ما يدرك أن الأمكنة تطابق أصحابها، " ولأنك إذا وصفت البيت مثلا فقد وصفت الإنسان كما يرى ويعتبره ويليك" [1]

فكثيرا ما يكتشف القارئ نمط الحياة الشخصية ونأقلمها مع الأمكنة إذ نجد أن وصف المكان ينم عن صاحبه.

6_ المكان الهندسي والمكان القصصي:

المكان الهندسي هو المكان الذي تحده القياسات والمسافات والمساحات وهو لا يمتلك قيمة فنية، ولهذا كان الإختلاف بين المكان في القصة عن المكان في الواقع الخارجي، لان المكان القصصي هو زاوية رؤية القاص أو الراوي، وهي تصوير المكان وتفاعل الشخصيات والأحداث معه.

فالمكان القصصي تشكله الأحداث التي تقوم بها الشخوص ولا يمكن إطلاق مصطلح المكان القصصي أو اعتبار المكان في القصة مشخصا إلا إذا اخترقه الأبطال، إدن المكان ينشأ " بوصفه كائن مشخصا، وتخيلي أساسا، ومن خلال اللغة، ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفي المقام الأخير من طرف القارئ، الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة " [2]، بمعنى أن المكان يساهم في تشكيله عدة مستويات: اللغة، الشخصيات، القارئ، وهذا يقودنا إلى تقسيم غالب هالسا للمكان، حيث يقسمه إلى ثلاثة أنواع وهي:

[1] نورة عبد الرحمن: وظيفة المكان في الرواية المعاصرة.

[2] حسين بحراوي عن أحمد زياد محبك: جماليات المكان في الرواية ديوان السرد القصصي منتدى ديوان العرب، حلب 6 يونيو 2006.

6_1 المكان المجازي:

هو مجرد ساحة تؤدى فيها الأحداث، لا يتجاوز دوره توضيح التفاعل بين الشخصيات والأحداث.

6_2 المكان الهندسي:

هو الصورة المحايدة أو المكان الجغرافي الذي يقاس، يكون محايدا للمكان الروائي تعيش الشخصيات مسافاته فقط لكنها لا تعيش فيه.

6_3 المكان بوصفه تجربة:

تحمل معاناة الشخصيات وأفكارها ورؤيتها، إذ يبقى نجاح الروائي هنا في منح المكان الحقيقي والمكان المبتدع خصوصية المكان.

7_مستويات وتصنيفات المكان:

تعددت النظريات التي اهتمت بصياغة نمدجات للمكان نظرا لتعدد معايير التصنيف وإختلاف مرجعياتها النظرية وأهمها:

7_1 التقاطبات المكانية:

وهي تصنف المكان وتبحث عم دلالته في شكل ثنائية تضدية من مفهوم المسافة (قريب، بعيد)، الحجم (صغير، كبير)، الاتساع (محدود، لامحدود)، العدد (مأهول، مهجور)، الإضاءة (مظلم، مضاء).

7_2 التقاطبات الثقافية:

تحمل التقاطبات المكانية مفاهيم تصورية لها علاقة بواقع الإنسان ومحيطه الاجتماعي والسياسي والأخلاقي والديني ومثال ذلك الترتيب: (رفيع، وضيع)، (يمين، يسار)، (النمو، التدني)، (السماء، الأرض)، و انطلاقا من تقابل الأمكنة والقيم أيضا،

"يرى لوتمان أنه يوجد صبغة طوبولوجية هامة هي الحد، فالحد هو الذي يعهد إليه تقسيم فضاء النص إلى فضائيين غير متقاطعين، وفق مبدأ أساسي هو إنعدام قابلية الاختراق"[1]، أي بمعنى أخر أن صفة الحد تعد قابلية الاختراق، من خلال راي لوتمان يمكن أن ندكر بعض المقترحات لنمدجة المكان هي:

مقترح يندمج المكان بحسب أماكن مباحة ومحظورة فالقصر مثلا محظور على الفقير، وبيت الفقير مباح للغني ومن الصعب على الفقير اختراق القصر، وهذه النمدجة ناتجة عن صفة الحد التي جاء بها لوتمان.

يرتبط المكان بحرية الإنسان ويمكن القول أن " العلاقة بين الإنسان والمكان من هذا المنحى تظهر بوصفها علاقة جدلية بين المكان والحرية، وتصبح الحرية في هذا المضمار هي مجموع الأفعال التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز..... ناتجة عن الوسط الخارجي" [2] .

فالإنسان يعيش في بيته – المكان الخاص– ويتحرك فيه بحرية، لكنه سرعان ما يفتقدها عند خروجه منه، ويبدأ في الخضوع لسلطة المكان، وتعد المساحات المكانية " دوائر متراكزة تتسع من حيز فردي يمارس فيه الفرد حياته اليومية إلى حيز جماعي تنظمه الجماعة لتحافظ على تماسكها وتناغمها إلى حيز قومي تحارب الدول لحمايته إلى حيز كوني" [3]

ويرى لوثمان: أن نماذج العالم الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية العامة التي ساعدت الانسان على إضفاء معنى الحياة التي تحيط به .... هذه النماذج تنطوي دوما على سمات مكانية، وقد نأخذ هذه السمات تارة بشكل تضاد ثنائي: " السماء– الأرض أو الأرض، العالم السفلي " .... وتارة تأخذ شكل تدرج هرمي سياسي – إجتماعي يؤكد تضاد السمات التي تقع في قمة الهرم (الرفيع)، وتلك التي تقع في أسفل الهرم (الوضيع)، وقد تتخذ

[1] نورة عبد الرحمن: المنتديات الفنية والإعلامية.
[2] سيزا قاسم: القارئ والنص، العلامة، الدلالية المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (د، ط)، 2002 ص 45.
[3] يوري لوثمان: مشكلة المكان الفني ترجمة: سيزا قاسم، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1988، ص66.

هذه السمات شكل نماذج للعالم، تتسم بسمات مكانية واضحة، كثير من الأفكار التي تدور حول الخواطر أو المهن أو الأنشطة "الدينية" و "الرفيعة".

ويمكن إبراز هذه الثنائيات في الجدول التالي:

التقاطبات المكانية	التقاطبات الرمزية (الثقافية)
السماء – الأرض	المقدس/ المدنس، الروح/ المادة، الخلود الفناء، السعادة/ الشقاء.
الأعلى – الأسفل	السم/ التدني، الرفيع/ الوضيع، النفيس/ الرخيص، النبل/ الإبتدال.
المفتوح – الغلق	الإتساع/ الضيق، المضاء/ المظلم ، العام/ الخاص .....
الداخل – الخارج	الخاص/ العام، الأليف/ المعادي، الحماية/ اللاأمن، المحدود/ الغير محدود.

تتحول هذه الثنائيات من كونها وصفا للمكان لتعبر عن قيم مختلفة اجتماعية، دينية، أيديولوجية، فهي ليست مجرد إحداثيات مكانية – مجردة – بل نجد لها علاقة بواقع الإنسان وبمحيطه الاجتماعي والسياسي والأخلاقي.

- مقترح أو رؤية قدمها "غاستون باشلار" في جماليات المكان قسم المكان إلى ثلاثة أقسام:

_ مكان أليف وهو المكان الذي يوجد فيه الإنسان وهو البيت.

_ المكان المتناهي في الصغر.

_ المكان المتناهي في الكبر.

يركز " باشلار" على القيم الإنسانية التي يتسم بها المكان اعتمادا على فاعلية الخيال ف " الخيال يتخيل ويعني نفسه دون توقف بالصور الجديدة، وما أود استكشافه هو ثروة الوجود المتخيل" [1] فالمكان كما يقدمه "باشلار" يتعلق " بجوهرة العمل الفني، فهو الصورة الفنية ذاتها، التي يتواصل معها المتلقي مما

[1] غاستون باشلار، جماليات الصورة، ص 31.

يجعله قادرا على استحضار الصورة المتخيلة لذكريات مكانه الأليف"[1]، لكن ينبغي لنا أن "نميز بين مستويين من المكان لدى "باشلار"[2]:

أ_ معمارية المكان التي تعني الأبعاد الهندسية والجغرافية للمكان، إذ يتجلى المكان في المقام الأول بوصفه كيانا هندسيا واقعيا، بحيث يعد البعد الجغرافي للمكان ممثلا لأبعاده الموضوعية المميزة له.

ب_ شاعرية المكان التي تظهر، وتجسد لنا المكان الأليف، أو بيت الطفولة الذي يتسم بقيم الحماية والأمان والإحتواء، أي المكان الأليف، الذي وصفه " باشلار" بأنه " يركز الوجود داخل حدود تمنح الحماية"[3].

لا ينكر " باشلار" المكان بوصفه موضعا له أبعاده الجغرافية والهندسية فالبيت في تصوره هو في المقام الأول " كيان هندسي مرئي وملموس" [4]، إلا أنه أكثر من ذلك، فهو بعد إنساني ونفسي وروح يجسدها العمل الفني، ويخرجها إلى الوجود من خلال صورة فنية .

يذهب "باشلار" إلى أن هناك أمكنة ما يراودنا فيها الإحساس بالألفة لأسباب عديدة قد تكون على رأسها إحتواؤها على بعض أشياء أماكن إقامتنا القديمة، مما يؤدي إلى الشعور بالحماية والأمن، لأن هذه الأشياء مرتبطة بدواتنا، أو بالأحرى في أعماقنا، وإذا ما إفتقدنا إليها المكان، ليست إرتباط الّإنسان به فهي مصدر إرتباطنا بالمكان على البعد النفسي للمكان الذي أغفله من سبقه.

"لا يعيش المكان على شكل صور فحسب، بل يتمثل داخل جهازنا العصبي في مجموعة من ردود الفعل، فلو عدنا إليه حتى في الظلام فلسوف نعرف طريقنا إلى داخله" [5].

---

[1] غاستون باشلار: جماليات الصورة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 290.

[2] المصدر نفسه، ص 63.

[3] المصدر نفسه، ص 09.

[4] المصدر نفسه، ص 63.

[5] عبدالعزيز شبيل: الفن الروائي عند غادة السمان، دار المعرفة للطباعة، سوسة، تونس، ط1، 2003، ص49.

وقد إرتكزت جهود "باشلار" النقدية في المكان على طبيعة العلاقة بين المكان والإنسان والدلالة التي يمكن أن يؤديها تنوع أشكال المكان، وقد إهتمت هذه الجهود بالأماكن الألفية، وأقصت الأماكن المعادية التي تحد طموح الإنسان.

ومها يكن فإن شعرية الفضاء " لباشلار" ويبقى من أهم الدراسات التي لها السبق في الإلتفات إلى شعرية المكان وأيضا التقاطب المكاني وهي المقولة التي يبني عليها يوري لوثمان تصوره للمكان.

مقترح جاء به حسين بحراوي منطلق هو الأخر من تقسيم ونظرة لوثمان إلى المكان، إذ يرى المكان ويصنفه حسب ثلاث مفاهيم هي: التقاطب، التراتب، الرؤية، فأما التقاطب فهو يعني وجود قطبين متعارضين في المكان وفق تقابلات ضدية ويتوزع في مفهوم التراتب الفضائي المكاني إلى عدة طبقات أو فئات مكانية، وإعتمد الرؤية كمفهوم أخير في إمداد القارئ بالمعرفة الموضوعية أو الذاتية التي تحملها الشخصية عن المكان وأبعاده وصفاته.

ويذهب الناقد " حسين بحراوي" إلى أن مفهوم التقاطب ليس جديدا تماما نصادفه في جدوره الأولى عند " أرسطو" ... حين يتحدث عن الأبعاد الكلاسيكية الثلاثة (الطول والعرض والإرتفاع)[1].

وقد توصل حسين بحراوي إلى إقامة البناء النظري، الذي ينهض عليه التقاطب المكاني داخل النص وذلك عن طريق إرجاعه إلى الأصول الأولى.

[1] حسن بحراوي: شبكة الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص 33.

الفصل الثاني

تجليات المكان في المجموعة القصصية

1_ أنواع المكان:

تختلف الأماكن شكلا وحجما ومساحة، منها الضيق المغلق والمتسع المفتوح، والمرتفع والمنخفض والمتصل والمنفصل، المقدس، المدنس والوقائعي، العجائبي .... إنها أشكال من الواقع انتقلت الى الرواية وصارت عنصرا من عناصرها ومن بين هذه الأنواع نذكر منها:

1_1 المكان المفتوح:

هو المكان الذي يأخذ صفة الإنفتاح لدى الراوي على بعض الأمكنة وهو كل حيز كبير أو صغير قائم أو متحرك ثابت أو متغير، يحتوي الحدث والشخصية والفكرة وينفتح على الأخر مباشرة أو بالواسطة.

كما يحملنا الحديث عن الأماكن المفتوحة للكلام عن أماكن شاسعة " ليست لها هوية محددة تنفتح على المجهول، قد يكون لديها بداية في مخيلة المبدع ولكن ليس لها نهاية في مخيلة المتلقي لأن الأمكنة المفتوحة تحاول عادة البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع وفي العلاقات الإنسانية والإجتماعية ومدى تفاعلها مع المكان"[1].

إن فضاء هذه الأمكنة يكشف عن صراعات قائمة بين هذه الأمكنة بوصفها عناصر فنية وبين الإنسان المتنامي فيها، حيث أن هناك أماكن توحي لنا بالسعادة والألفة ومنها ما يكون عكس ذلك، إذ ليس بالأمر الهين العثور على المكان المفتوح بسهولة، فالمكان المفتوح قد يكون " فضاء لا يمكن إغلاقه، كالشارع والصحراء والمدينة"[2] إذ نجد أن الأماكن المفتوحة ترتبط بالشاسع والرحب وتتحدد بعدم وضوح الهوية فيها وبشكل " مكان مفتوح في مخيلة الأديب بكل ما فيه من عناصر فنية ورؤيوية ومكملات سمعية وبصرية ولونية يضاف إلى ذلك كافة الذكريات التي يتذكرها الأديب ... ضمن فضاء مخيلته عبر أعمال أدبية تتمظهر

[1] عبيدي مهدي: جماليات المكان في ثلاثية حنامينة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2011، ص96.

[2] إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الأردن، د.ط ، ،2003، ص 185.

في أماكن مفتوحة كالحدائق والمراعي والبساتين وغيرها ..." [1] والغابة والبحر والمحطة أيضا أماكن مفتوحة لا يمكن غلقها لإتساعها وشساعتها فغلقها يكون أمرا مستحيلا.

ويقوم هذا التقسيم على أساس المفتوح، وذلك بالنسبة للشخصية لأنه من الممكن أن يكون المكان المنفتح لشخصية ما، هو نفسه مكان منغلق للشخصية الأخرى، والمقياس هنا هو مدى تأثيرها وتأثرها، ومدى حريتها وتقيدها فيه، وكأمثلة من المجموعة القصصية يمكن أن ندرج المدينة، الجسور، الشارع، المقهى ... بإعتبارها أماكن مفتوحة.

1_1_1 المدينة:

كان للمدينة حضور لافت في المجموعة القصصية " شرايين عارية" لزكية علال، كما تبدي هذه النماذج المدروسة وإختلفت صورة المدينة تبعا للإختلاف المذكور فجاءت بعض الصور جلية، وفي مقابل ذلك كانت صورة باهتة سطحية، وردت مجرد إشارة إلى مكان بعينه من دون أي تواصل بين المكان ومكوناته من جهة وبين المكان ومكونات النص القصصي من جهة ثانية، حيث نجذ أن زكية علال في قصة " ذاكرة منى أربعة طوابق" تقول " كيف لمدينة يابسة أن تدب فيها الحياة وتتجدد في جسمها خلايا الإصباح، بل وتعود بهد اليابس إلى التناسل لمجرد مرور مسؤول على هامش شارع عابر"[2].

إذ نجد هنا مقارنة بين فضاء المدينة الفسيحة اليابسة وبين عودة الحياة وتجددها بمجرد مرور المسؤول حيث نجد أنه يفرغ محمولاته النفسية من خلال أقلقه من تصرفات المسؤولين، من دون أن تأثيث للمكان بتفاصيل هندسية أخرى من شأنها أن تخصب متخيلة المتلقي وجعله أقرب إلى توقع شكل ما لهذه المدينة، كما أشارت " زكية علال" "يا نشئ أنت رجاؤنا " بوصف عابر لمدينة قسنطينة وجسور سيدي راشد وصخورها العتيقة وذلك

[1] جيهان أبو العمرين: جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص 88.

[2] زكية علال: شرايين عارية، ذاكرة من أربعة طوابق، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، ط1، 2014،ص 10.

بقولها..." أقف على جسر سيدي راشد أتأمل مدينة محمولة على صخر عتيق فأحسها عروسا تتباهى في دجها الذي يحملها إلى العرش يليق بهامتها"[1].

فقسنطينة كما هو معروف مرتفعة وكثيرة العلو والوديان التي تقع دونها موغلة في العمق لمكن ينظر إليها.

والجسور مكان موحش مغلق بالنسبة – للشخصية مثلا– حتى وإن كان مفتوح في فضاء المدينة فمن غير المعقول أن يكون الجسر مكان مغلق هندسيا.

1_1_2 المقهى:

مما لا شك فيه " أن وجود المقهى في الشارع العربي قد أعطى بعدا جماليا جديدا، فقد أتاح المقهى للروائي والفنان أن يتأمل الشارع جيدا ما يدور فيه، وبكل بساطة كان المقهى هو كرسي التأمل للشارع، وكان المقهى هو كرسي الفرجة على الشارع، ولعل هذا الإرتباط العضوي بين الشارع والمقهى في الرواية العربية قد أفاد كثيرا في إثراء جماليات الشارع وجماليات المقهى على حد سواء"[2].

أي أن المقهى يتميز بنوع من الخصوصية إذ يتردد عليه أصناف وفئات من الناس دون غيرهم ورغم هذا الإنفتاح يعتبر مجرد مكان للقاءات التي لا تتعدي مدة بقائهم بها عددا من الساعات.

وجاء في القصة " أجلس مع أصدقائي في مقهى "النجمة" يتشعب بنا الحديث الذي تغلب عليه السياسة فهي كما يقول عنها سمير رغيف الشعوب الفقيرة التي لا تجد ما تقتاته، فتمضغ حديث السياسة الذي سرعان ما يتحول إلى مادة سامة تهلكهم"[3].

[1] زكية علال: شرايين عارية، ص 38.

[2] شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية ص 65، ص66.

[3] زكية علال: شرايين عارية، ص14.

فتكون المقهى بذلك مكان مفتوح ومعبر وممر مصلحيا بين أمكنة أخرى كثيرة و لكن ذلك لا يمنع من ان يكون هذا المكان متنفسا للإنسان و مكان لاخد قسط من الراحة و محاورة الذات.

1_1_3 الشوارع:

ارتبطت الدراسات المتعلقة بالشارع كمكان بفضاء المدينة حيث "يعد فضاء الشارع جزء لا يتجزأ من فضاء المدينة فهو ظلها ومآتها، فضاء تنفتح عليه كل الأبواب، حيث يتحرك الناس في فضاءه الواسع ويواصلون ديمومتهم عبره ويسجلون نجاحهم او فشلهم من خلاله فالشارع بناء على هدا التصور يعني أكثر من جغرافيا انه الخطر الفاصل بين عالم السر والجهر"[1].

فالشارع فضاء تفاعل بين الافراد، مرورا، تجارة، سياحة ... نجد من القصة: "كل شارع كنا نعبره، يصطف الناس على جوانبه كأنهم ينتظرون وصول ملك منتظر .... الجميع كان يتساءل بدهشة خرساء "ماذا حدث؟"[2] فالشارع يعتبر المكان الذي يمر من خلاله الأشخاص و يلعب دورا كبيرا في الترويح عن النفس ويمثل الفضاء الذي يجلب اليه معظم الاحداث وتخترقه أغلب الشخصيات ليكون مسرحا لتحولاتها وصراعاتها وأفعالها كما قال السعيد الورقي " المجال الاجتماعي والإقتصادي الذي تتحرك فيه الشخصيات"[3].

حيث يختلف المنظور إلى هذا المكان – الشارع– تبعا لإختلاف التركيبة النفسية والإجتماعية والذوقية التي تملكها كل شخصية منهم.

كما أشارت " زكية علال" إلى المطار في قصة " ذاكرة من أربع طوابق"

[1] أحمد زنبير: من تشكل الفضاء الى فضاء التشاكل مجلة افاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب المغرب، ع 81، 82، 2012، ص 35.

[2] زكية علال شرايين عارية ص 60

[3] السعيد الورقي: الرواية العربية المعاصرة، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 2009، ص98.

" عندما وصل إلى المطار كان لابد للحقيبة الكبيرة أن تعرض على التفتيش وأن تمر على السكانير (...) لك أن تختار بين السفر وهذه الحقيبة (...) فالطائرة قد تهوى بكل هذا الثقل الموجود فيها (...) لم يفكر بل ترك طوابق ذكرياته تنهار في بهوي المطار ليسافر شجرة عارية مبتورة " [1]

وهنا نجد أن محطة المطار هي إحدى الأمكنة التي وظفتها " زكية علال " ولم تخرج عن وظيفتها كمنطلق عبور ووصول للمسافرين ولكنها أخذت شكل النهاية في القصة.

1_2 المكان المغلق:

يمثل الحيز الذي يحوي حدودا مكانية ويكون أضيق بكثير من المفتوح فالأماكن المغلقة فضاءات للإقامة المألوفة والآمنة ليست كالبيت والغرفة أو الاقامات التي تكون مصدر الخوف والذعر كالمقبرة "فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية الذي قد يكشف عن الألفة والأمان او قد يكون مصدر للخوف والذعر "[2]، وهو أيضا المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كمكان العيش والسكن الذي يأوي اليه الانسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواءا بإرادته أو بإرادة الآخرين.

" إن الحديث عن الأمكنة المغلقة هو الحديث عن الأماكن المحددة بمساحات معينة كالغرف والبيوت القصور ... فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية أو كالسجون فهو المكان الإجباري المؤقت وقد تكشف الأماكن المغلقة عن الألفة والأمان او قد تكون مصدر للخوف"[3].

كما يمكن الإشارة إلى أن هناك أماكن ضيقة مرفوضة كالسجن والقفص وقد تكون هناك أماكن مطلوبة لأنها تمثل الحماية التي يلجا اليها الانسان بعيدا عن صخب الحياة

[1] زكية علال: شرايين عارية، ص13.

[2] فهد حسين: المكان في الرواية البحرينية، ص.163.

[3] عبيدي مهدي: جماليات المكان في الثلاثية الخامسة ص43.

كالبيت والغرفة ولا يقتصر الانغلاق على هذه الأماكن سابقة الذكر ما نجد أيضا الأماكن العملية كالمطبخ والمكتب ...

والمكان المنغلق قد:" يكون غرفة أو بيتا أو مدرسة أو مسجد أو أي شيء آخر يمكن إحجام أبوابه أو إغلاق نوافذه "[1].

ويتضح أن المكان المنغلق هو المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة سواءا كان بإرادته أو بإرادة الآخرين ولكن هذا العيش تبرز الصراعات الدائمة بين الإنسان ومكانه حتى يتحول هذا الصراع الى ألفة، وقد يبقى الصراع قائما.

"هو المكان الذي يأخذ صفة الإنغلاق والعزلة لدى الراوي على بعض الأمكنة والمكان المغلق يقطع كل صلة بينه وبين ساكنه لأنه مكان مقيد يحد من حرية ساكنه كما يفرض عليهم نمطا خاصا من العيش من خلال صفة الإنغلاق أو الضيق"[2]، أي وصف المكان يعطي لمحة عنه إذ نجد هناك أماكن يمكن أن تكون منغلقة بالنسبة لشخصية ما وتحد من حريته وتفرض عليه نوع من الإنغلاق من خلال اللمحة التي يشير إليها الراوي.

1_2_1 البيت:

يعتبر البيت كما هو متعارف عليه المسكن أو المأوى الذي تأوي إليه جميع المخلوقات طلبا للراحة والاستقرار والبنية الأساسية للعمران البشري المتمثل في مجموع القرى ومجموع المدن.

ولأن البيت " ليس مجرد مكان نحيا او نسكن فيه، وإنما هو جزء من كياننا ووجودنا الإنساني"[3] فأن باشلار جعل للبيت جسدا وروحا فهو بمثابة عالم الإنيان الذي يعيش فيه.

[1] ابراهيم محمود خليل: النقد الادبي الحديث المحاكاة إلى التفكيك، ص192.

[2] سوسن البياتي: أساطير العراق البابلية والسومرية، دراسة في تشكلها السردي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سوريا، 2010، ص76.

[3] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 290.

ورغم تعدد التسميات التي حظي بها البيت في الأعمال الأدبية كالمنزل، الشقة، غرف النوم، الدار ... فإن هذه التسميات تلتقي جميعا لتعطي معنى "البيت" ومثال ذلك من القصة نجد "كانت أنفاس الغرفة تسبح في لون رمادي عقيم وتتحرك داجل ذاكرة تصعد أدراج العمر لتختصر كل المسافات التي باضت وافرخت في عش الفراخ ..."[1]

يرتبط البيت في هذا المقطع بمعنى الظلام والعزلة وصعوبة الطريق ووعورتها تنبؤ عن رداءة المكان ووحشيته.

"لم يكن يسمع في الغرفة إلا طقطقة الذكريات وهي تسحب نفسها متعثرة مرة بهمس كان يشرق هنا، ومرة بدفء كان ينبت هناك"[2]، كما تتصل الغرفة بلحظات الخوف من المستقبل ومن المجهول، وأيضا البوح بمكونات النفس وهواجسها "فتيقنت أن وجودي في البيت لم يعد مرغوبا فيه وأنني أعيش على هامش حياتهم"[3].

من خلال هذا المقطع نفهم أن البيت الذي ولدنا فيه المحفور بشكل عادي وفي داخلنا ويصبح مثل العادات العفوية ويمكن القول أن البيت مكان أليف متنوع تبعا لشعور الشخصية، فالشخصية هي التي تحدد المكان الأليف والمعادي فهناك أماكن غير المنزل تبعث الراحة والأمان للشخصية، وقد يكون البيت نفسه معادي لها، كما ورد في المقاطع السابقة، لا يبعث لها بالراحة والأمان.

إدا فالبت من الإمكان المغلقة هندسيا التي ترمز إلى الدفء والاستقرار النفسي والجسدي.

1_2_2 السجن:

يمثل السجن مكانا مدنيا يرتبط وجوده بالمدينة، وهو مكان يعلن دوما عن عدائه ضد الشخصية من خلال انغلاقه وضيقه وظلمته وبرودته " وإدا كانت حرية الإنسان هي جوهر

[1] زكية علال، شرايين عارية ص9.

[2] المصدر نفسه، ص9.

[3] المصدر نفسه، ص66

وجوده والقيمة الأساسية لحياته، فإن السجن هو استلاب لهذه الحرية، فهو بالتالي استلاب لوجوده وإهدار الحياة".[1] أي أن السجن ليس سجنا للجسد فقط وإنما سجنا للنفس البشرية وحرمانها من أبسط الحقوق المشروعة.

وجاء في المقطع " حاولوا أن يعرفوا مكان الوثائق التي يخفيها لكنه احتمى بصمته، فقادوه إلى السجن لتبدأ سلسلة عذاب جعلت منه شبح رجل يزحف على أرضية التحدي لينقذ إخوانه" [2]

وفي موضع أخر " لم يكتف بحرمانه من خطيبته بل أسرى الى الضابط الفرنسي أن أباه "فلاق" وكانت له أيدي في مقتل عدد كبير من الجنود الفرنسيين فاقتيد الى السجن ليعود بعد سنوات من العذاب وقد فقد عقله وداره وزوجته" [3]

أي أن السجن أصبح يمثل لكل من رشيد ومصطفى مكان ضغط نفسي يؤجج إحساس البطلين بالألم والمرارة كلما عادا إلى الوراء.

فالسجن إذن مكان مظلم مرعب، رهيب، موت معنوي ومادي، عندما نتحدث عن السجن على أنه مكان مغلق لأنه يتصف بالضيق والمحدودية وهذا كله ينعكس على حرية السجين ويزداد التضيق عليه فيشعر بشلل حركتيه وكأنه وضع في بيت الأموات.

" كانت السجون والمعتقلات من أخطر الوسائل التي يلجأ إليها العدو لقتل روح الإرادة في الإنسان الجزائري ومحاولة زعزعة إيمانه وبث الفراغ والهلع في نفسه حتى يستمر في نضاله وكفاحه"[4].

---

[1] مصطفى التواتي: دراسة في روايات نجيب محفوظ (اللص، الكلاب، الطريق، الشحاذ)، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط3، 2008، ص106 ،107.

[2] زكية علال: شرايين عارية، ص 54.

[3] مصدر نفسه، ص 22.

[4] مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في الشعر المغربي العربي 1945، 1962، ديوان المطبوعات الجامعية ط7، الجزائر، 1998، ص 149.

ويمكن أن نعتبر السجن مكان معادي لأن الشخصية لا تشعر فيه بالألفة بل تشعر بالعداء والكراهية لما يؤديه من صراع داخلي وخارجي، فالحدود المكانية التي يفرضها السجن شديدة الصرامة مما يحوله الى مكان معادي يقضي على السجين ويدمره.

1_2_3 المستشفى:

مكان معروف بحمايته للمريض وقد جاء " ضريبة الأحلام " "ولم أفق إلا وأنا أنام على سرير المستشفى .... أحسست أن بعضي انفصل على بعض وضاع منه ... وحاولت أن أتحسس قدمي فإذا بيدي تغرق في فراغ قاتل ... عندما زارتني أمال في المستشفى..."[1]

فالمستشفى مكان منغلق هندسيا ومنغلق أيضا على نفسية الشخصية وعلى الرغم من جانبه النفعي للمرض إلا أنه في نفس الوقت مكان معادي يفر منه البعض الأخر.

1_2_4 الملهى:

هذه الأمكنة قبيحة وجعلت أماكن لتناول الخمور بأنواعها حيث نجد أنه تمة من يرى في الملهى المتنفس ويعتبره مكان أليفا تنسجم فيه الشخصية وتحبه وذلك من خلال ما ورد في القصة: " وخرجت الى الشارع أبحث عن بديل ... عن ملهى يؤنس وحدتي، فوجدته فاتحا دراعيه يضمني إلى صدره ويستقبلني بحرارة فعشت بين أحضانه مع مجموعة من أصدقائي الذين كانوا يلقنوني دروسا في النسيان، في الهروب وكيفية إقصاء من خريطة الألم فقدموا لي الخمر"[2]

1_3 الأماكن المقدسة والأماكن المدنسة:

تكتسب بعض الأماكن قداستها من وظيفتها، أو بعض خصائصها وأدوارها الخصوصية ومن أمثلة ذلك نجد المسجد الذي يعد مكان لأداء الشعائر الدينية من جهة ومن جهة أخرى نجد المخمرة بوصفها مكان مدنسا وقد تتحد هذه السمات شكل تضاد أخلاقي،

[1] زكية علال: شرايين عارية، ص 17.

[2] مصدر نفسه، ص 66.

يقابل بين المقدس والمدنس وتنتظم في شكل نماذج تتسم بسمات مكانية واضحة وتدور حولها الكثير من الأفكار.

تتحول هذه الثنائية من كونها وصفا للمكان لتعبر عن قيم مختلفة اجتماعية، دينية، إيديولوجية، فهي ليست مجرد إحداثيات مكانية بل نجد لها علاقات بالواقع الإنساني وبمحيطه الاجتماعي والأخلاقي.

وعلى قلة دكر الأماكن المقدسة في القصة التي أشارت إليها زكية علال بسيطة سطحية ومن ذلك نجد مثلا الجامعة بالنسبة للطلبة ما تمثله أماكن العمل لأوليائهم، مع أنه مكان أخر من أمكنة العمل وعلى الرغم من أهمية الجامعة وقلت دكرها في المتن القصصي إلا أنها لا تكاد تزيد عن أسماء توحي الى فضاء مليء بالنشاط والحيوية " حيث يمكن أن نمثل الحيز بواسطة كثير من الأدوات اللغوية ذات الدلالات التقليدية للمكان وذلك بالتعبير عنها غير مباشر" [1]

ففي المجموعة القصصية نجد كل من الجامعة، قاعة المحاضرات، المكتبة، المدرسة، .... أماكن لها قدسية وتأخذ هذه الأماكن طابع القداسة فيها وظفت منه بوصفها منارات للعلم نطوق إليها مند الصغر، وننظر الى هذه الأماكن نظرة احترام وتقديس ومثال ذلك قصة ذاكرة من أربعة طوابق " بدأ بإنكسار فرحته الأولى وهو يخرج من البوابة الكبرى للجامعة، كان يحمل شهادة جامعية عليا تدل على تفوقه ونبوغه المتميز الذي ظل يلازمه"[2].

فالجامعة هنا هي المنبر الذي يلج به باب مستقبل زاهر كما دكرت أماكن أخرى مقدسة كالمقبرة في نزيف أخر الشرايين " كلما صار الوطن أصلا لا وجب أن نحوله إلى مقبرة تدفن فيها ملامحنا وعرقنا ونبض دمائنا لتصبح خلقا أخر"[3].

[1] عبد المالك مركاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص 145.

[2] زكية علال: شرايين عارية، ص 09.

[3] المصدر نفسه، ص 19.

وهنا نجد أن الوطن الذي كان مكان للسكينة والهدوء قد عوضه بالمقبرة وذلك لتتكر الأحياء له التي أصبح يرى أن المقبرة أنيسة له ولذكرياته.

بالإضافة الى الأماكن ذات الطابع القداسي نجد في مقابلها أماكن مدنسة الى حد كبير بفعل الإنسان منها الملهى " وخرجت الى الشارع أبحث عن بديل... عن ملهى يؤنس وحدتي فوجدته فاتحا دراعيه يضمني الى صدره ويستقبلني بحرارة وعشت بين أحضانه (...) فقدموا الى الخمر فإذا هي مرة كريهة لكنها رحلت بي الى عالم اللامبالاة والنسيان"[1].

فالملهى مكان مدنس ذابت فيه الرذيلة وأسهمت في نشر الفساد وتدنيس المجتمع ليسافروا بعدها في عالم اللامبالاة وانفتاحها على المحرم والممنوع لكسب زبائن أكثر ونستخلص في الأخير أن الأماكن المقدسة والمدنسة قد تأخذ عكس طابعها وذلك راجع الى تصرفات بعض الأشخاص التي تحولها الى أماكن غير طابعها.

1_4 المكان القريب والمكان البعيد:

يعكس الفضاء المكاني ببعديه (القريب والبعيد) ثنائية التعارض بين الوطن والغربة يشكل الوطن طاقة جدب واحتواء عاطفي وأحيانا تتعدى قدرتنا الواعية وتتوغل في العالم الباطن واللاوعي، فالإنسان لا يحتاج إلى رقعة جغرافية يعيش فيها، وإنما نجده يصبو دائما إلى مكان حميمي يضرب فيه بجدوره لتأصيل هويته والتعبير عن كينونته ووجدوه، حيث يتحول هذا المكان الى مرأة ترى فيها الذات صورتها وهو ما حدث في قصة " نزيف أخر الشرايين" إذ تتبلور من خلال تجربة البطل رشيد في مكان الغربة " فرنسا" ويمثل المكان البعيد، وهو مكان طارد غريب لا يشعر فيه بالأمان والاستقرار، فهو يعد في هذا المكان من الأغراب، والشخص البعيد هو شخص مستكره، مرفوض غير مرغوب فيه ولهذا يشعر بأن وجوده بلا معنى " الأن .... تتثاءب الأرصفة التي خلفها وراءه لتطارده كدخان سيجارته

[1] زكية علال: شرايين عارية، ص 66.

التي نفثت رماد وكيه، وتظهر –جليا– خطيئة الإختيار الذي جعل منه تصف رجل ... بل بقايا رجل لأنه إختار وطن من تراب"[1].

تسلط القصة أضوائها على شخص يحس بالغربة إحساسا قاتلا يهزه الشوق الى المكان القريب اليه بروحه ووجدانه، على الرغم من أنه يبعد عنه بجسده " تململ في فراشه وهو يحاول أن يجد لجسده النحيف وضعية مريحة تخفف عنه وجعا يسكن عروقه (...) وبات يلون صورا قريبة وببعده تتصارع فيما بينها على ملكية الذاكرة المهزومة"[2].

أخي يعيش إضرابات نفسية في منتهى القسوة، يحس بوجوده الناقص وانسانيته المفيدة في هذا المكان الذي لا تربطه به أي صلة حيث غدت نفسية البطل السلبية البائسة: " فحرية الإنسان هي جوهر وجوده والقيمة الأساسية لحياته" [3].

إنه يعاني من التمزق الذاتي والضياع النفسي، لا يعرف ما يدور حوله ليتبادر لنا من خلال تصرفات رشيد وتفكيره صراعه مع المكان البعيد لا يرى فيه سوى حيز رهيب حيث استخدمت زكية علال أسلوب الحوار الذاتي لتصور لنا القلق والتور اللدين أوشكا على تدمير البطل: " كلمات من جمر كان يسقي بها ما نبت من شوك وألم في مساحة صدره وخرابة ... تنفس بعمق كمن لم يدخل الهواء في جوفه من قبل (...) يفتح حائط ذكرياته على صورة ماضية –حاول عبثا– أن يهربها من ثقوب نفسه المهزومة" [4].

فعندما يكون الإنسان في الغربة يشعر بالإحباط فتزداد قساوة المكان وغرامتيه فتنعدم الألفة بين رشيد وبين فرنسا ويولد العجز في التفاؤل والإستمرار فيه، وتبدو الحياة فيه مستحيلة وعقيمة وبائسة، بعيدة عن موطن الائتلاف.

إنه يشعر بطاقة حميمية تجدبه الى المكان القريب، تجدبه الى ارض الوطن الجزائر فتحتويه احتواءا عاطفيا حميميا.

---

[1] مصدر نفسه، ص 18.

[2] زكية علال شرايين عارية، ص 18.

[3] رشيد بن مالك: السيمائيات السردية، دار مجدلاوي، للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2006، ص 131.

[4] زكية علال شرايين عارية، ص 28.

إن صورة المكان القريب تحتل حيزا في نفسية رشيد ذاته وارتباطه بوطنه وعلاقته بهذا المكان، يقف رشيد موقف الحائر التائه في الغربة وهو كبير القلب، يبكي وطنه الجزائر لأشيء يأنس به وينسيه همومه وهو في ديار الغربة سوى هذه الذكريات عن المكان القريب.

إن الخيال المكاني يكسر الحواجز ليرحل بالبطل نحو المكان القريب، الذي يعتبره رشيد المتنفس وهي صورة أرضه الثائرة الجزائر.

أصبح المكان القريب نواة لهويته، لأنه عندما ينفى الإنسان من وطنه تتولد علاقات خاصة بينه وبين المكان المفقود فيحس بالضياع والموت، واللاوجود مما يدفعه الى البحث عن مكانه المسلوب، حتى إن كان ذلك على مستوى الذاكرة والخيال التي تكسر الحدود، فيحس بالضياع.

وجود البطل لن يتحقق في المكان البعيد لذلك سيعزم على الإلتحاق بالمكان القريب " عندما حطت الطائرة في المطار أحس أنه طفل يحبو نحو أمه ويتخيلها تبسط له رداء ثلجيا يعبر الى قلبها الدافئ ويتلمس حرارة أنفاسها الطاهرة"[1].

ومن المؤكد أن المكان القريب سيرسخ كيانه ويثبت هويته إذ نجد أن قصة " نزيف أخر الشرايين" تجسد موقع المكانين البعيد المشحون بتفاصيل الخبث والإستغلال من خلال معاملة الفرنسيين اللامنطقية واللاحضارية، ومن خلال نظامها الإستعماري الذي يصنع شقاء الشعوب ويزجها في الجحيم، وموقع المكان القريب المشحون بأبعاد الشوق والرغبة في الالتحاق به والتحرر من القيود.

وفي الأخير يقرر الإلتحاق بالمكان القريب في القصة " حنين المكان واستشارة لما في الذاكرة من تداعيات وجدانية فياضة"[2].

ومنه فإن التعلق بالمكان القريب هو التعلق بالأرض والإصرار على الإنتماء الى وطن حر.

[1] زكية علال: شرايين عارية، ص 23.

[2] على جعفر العلاق: الدلالة المرئية، قراءة في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2004، ص 74.

2_ دلالة المكان:

إن الأنساق المكانية التي يبديها نصب بعينه تكتسب دلالات ومعاني شيء من خلال تجسيدها المكاني للعديد من القيم الاجتماعية والدينية والسياسية.

وإن كان الإبداع القصصي في شكله المنجز يتم داخل إطار المكان فإن القاص المبدع هو الذي يستطيع أن يتعامل معه تعاملا فنيا، فيتخذ منه الإطار المادي الذي تتم في خضمه أحداث القصة ووقاعها، وفي الوقت ذاته يتخذ شخصية فعالة ومؤثرة في شخوصه بأن يصبح لهم الملاذ والمهرب في الوقت ذاته.

وبذلك فقد تتعدد أدوار المكان وتتنوع دلالاته، من خلال المشكلة السردية المطروحة لذا فللمكان في مسيرة أي انسان دلالاته وقيمته فهو مرتبط به حتى قبل أن يولد وعليه فإن علاقة المكان بدلالته ليست علاقة وصفية مقتصرة على ما هو مرئي وملموس ، لأن المكان يخرج من صمته بتفاعله مع نفسه ومع الآخر ، ومنه فوضع المكان القصصي قد تغير فلم يعد ذلك الديكور الأمد الذي برز محتوى القصة بل إنه لم يعد يقف على دلالة معينة يسندها الكاتب له ، لأن الدلالة المتعددة أول ما تقوم عليه هو تعدد القراءات ومن ثم تعدد الدلالات مما يؤدي إلى انفتاح النص ويمكننا أن نقسم دلالات المكان إلى: الدلالة التعبيرية، الدلالة الدينية، الدلالة الرمزية ، الدلالة الوظيفية.

2_1 الدلالة التعبيرية:

تعنى الدلالة التعبيرية في حد ذاتها بالخيال الذي يجعل الأشياء الجامدة نابضة بالحياة، كما بإمكانها تحويل من يملكون الحياة إلى أجسام خالية لا روح فيها ،"وأول ما ظهر هذا المصطلح ظهر في فرنسا عام 1910م اذ ابتدعه هارف harveولقد استعمله الكاتب النمساوي هارمان بار Herman Barrفي الأدب عام 1914م "[1]

[1] ناصر الحاني: من اصطلاحات الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة مصر، د.ط ،1959، ص 21.

واهتمام التعبيرية يصب فيما تتركه من أثر في متلقيها لأنها تعتمد أساسا "على وقع الأشياء والاحساس بها وما تثيره من إحساس لدى المتلقي وذلك من خلال الإحياء والرمز والدلالة حيث يتم في ضوئها بناء المكان من خلال تحديد خصائصه ومميزاته وإيجاد الحلول الجمالية في ضوء ذلك "[1]، ومنه فالدلالة التعبيرية للمكان تتجلى من خلال المظهر الخارجي، سواء مثل هذا المظهر صوتا أو رائحة أو صورة وكتمثيل للدلالة التعبيرية من خلال الصوت ما نجده في صوت المياه المتدفقة من الشلال، وما يبعثه من حركة ونبض وتعبير عن الحياة، أيضا ما نجده في الصوت الذي يصدر من المغارات بسبب الرياح وما يبعثه من خوف وقلق حتى أننا نعد الصمت صوتا تعبيريا لأنه يجعلنا نقف أمام المكان في رهبة، لما يحمله من سكون وكأننا نسمع لهذا المكان صوتا وصدى ، وكمثال ما نجده عند دخولنا للمقابر أو عند نزولنا في أماكن خالية ، أو بها دمار جراء حرب ما.

كما يحمل المكان دلالة تعبيرية من خلال الراحة، وكأنه بذلك يتحدانا في شكل من أشكاله وذلك بتأثيره علينا من خلالها، ونأخذ مثالا على ذلك رائحة الأرض بعد تساقط المطر، حيث نلاحظ أثر هذه الرائحة علينا، فقد تعطي لبعضنا نوعا من الانتشاء، وقد تترك في الآخر نوعا من الضيق والنفور، مثلها مثل أي شخصية قد تكون الراحة السبب الأول للإقبال عليها أو النفور منها.

أما الدلالة التعبيرية من خلال المظهر فالمكان فيها مثله مثل أي شخصية، إذ يتخذ من مظهره شكلا من أشكال التعبير المتعدد والذي يساعده على إبراز هذه الدلالة الفترة الزمنية، التي يوظف فيها المكان، لأنه بإمكان المكان الواحد أن يعبر عن نفسه بأربع صور من خلال فصول السنة، "فترى المكان الواحد وقد تغير إلى أمكنة أربعة من خلال الفصول لونا ورائحة، شكلا ومزاجا"[2]، كما نجد النابلسي "يعتبر الفصول أمكنة أكثر منها أزمنة "[3].

[1] طاهر عبد المسلم: عبقرية الصورة والمكان، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2000، ص 200

[2] شاكر النابلسي: جمالية المكان في الرواية العربية، ص14.

[3] المصدر نفسه، ص14.

كما تعتبر الذاكرة هي الأخرى مكانا، فهي تحوي بداخلنا أمكنة حقيقية تقوم باستحضارها كلما أحست بذلك الدافع النفسي، ولا تكتفي بهذه الأمكنة بل وتعد الدلالة التعبيرية من أكثر الدلالات التي ركزت عليها الكاتبة في المجموعة القصصية من خلال أكثر من صورة، حيث نجد في ضريبة الأحلام توظيف مكان المستشفى في قولها: " وأنا نائم على السرير في المستشفى ... أحسست أن بعضي انفصل عن بعض وضاع منه ... حاولت أن أتحسس قدمي فإذا بيدي تغرق في فراغ قاتل ..." [1]، فمن خلال هذا المقطع درك حقيقة المستشفى التي لا تخفى عن الجميع كونها مكان يقصده الجميع م أجل العلاج على الرغم من أنها موطن خوف ورهاب لدى البعض إلا أنها تعبر عن ذلك النبض الذي يحيل إلى الأمل في الحياة ذلك الأمل والخيط الذي يتشبث فيه طلبا للحياة.

2_2 الدلالة الدينية:

الحديث عن الدلالة الدينية للمكان تقتضي بالضرورة الحديث عن المطلق لأن المكان في شكل من أشكاله يخرج عن الإطار الفيزيائي المضبوط إلى إطار مطلق مفتوح ومنه فيمكن للمكان العادي أن يكتسب دلالة دينية وذلك بفعل تراكم الطقوس والأحداث التي تقوم بها الشخصية مثل ما نجده في: "جبل الأولمب وما نجده أيضا في جبل عرفات وجبل طور سينين وتقديسهما تقديسا إلهيا"[2]، وامتد هذا التقديس بالنسبة لنا من خلال الفرائض الدينية كالقيام بوقفة عرفة أثناء فريضة الحج.

ومن أمثلة ذلك ما نجده في المجموعة القصصية: " فهذه الحمامة البيضاء لا تتناسل إلا بياضا، ولكن خوفا من أن يصبح الزواج مقبرة منسية لحب كان متوهجا"[3]،

" اعترف بإعجابه بشخصيتها ورغبته بالارتباط بها، ليسقط في ورطة كانت آخر قبر له "[4]

[1] زكية علال: شرايين عارية، ص17.

[2] سيزا قاسم: القارئ والنص العلامة والدلالة، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ص63.

[3] زكية علال: شرايين عارية، ص43.

[4] المصدر نفسه، ص41.

وتظهر الدلالة الدينية للمكان هنا من خلال القبر الذي يحيل بدوره إلى دلالات متعددة التصورات المختلفة إلا أن الدلالة الدينية التي حظي بها القبر ليست متساوية عند الجميع لأننا نجد من قام بقتل هذا المكا " كلما صار الوطن أطلالا وجب أن نحوله إلى مقبرة ندفن فيها ملامحنا وعروقنا ونبض دمانا لتصبح خلقا آخر"[1] فقد قام بقتل هذا المكان وإبادة هذه الدلالة من خلال قتل الوطن بعدما أصبح رمزا للموت والقبر، فالدلالة الدينية للقبر إذ نجد أن القبر يتحول إلى مكان يمنحنا راحة البال ولقمة العيش إلى مكان تنعدم فيه الحياة، فما قيمة وطن لا خبز فيه ولا ورد، فهو بمثابة موت وفناء آخرهما القبر.

فالدلالة الدينية بالرغم من قتلها إلا أنها تمكنت من الكشف عن الصراع السياسي في الجزائر آنذاك، إذ تؤكد الكاتبة أن هذا الصراع سببه أطماع نفوس مريضة كانت نهايتها القبر.

فالدلالة الدينية للمكان في شرايين عارية وهوية مفقودة إحالة إلى أن هذا القبر له دلالة تعويضية لصاحبه ليشق منعرجا آخر أدخله عالم السكون.

2_3 الدلالة الرمزية:

تعد الدلالة الرمزية من أهم الدلالات التي يمكن أن يحيل إليها المكان في النص القصصي، إذ تعد من أصعب ما يمكن أن يدرجه الكاتب فيه، لأن هذه الدلالة تقضي فنية وبراعة ومتانة في الأسلوب كل ذلك في انزياحيه لغوية عذبة،، ولقد نبه رولان برونوف "إلى القيمة الرمزية والأيديولوجية المتصلة بتجسيد المكان إلى ضرورة دراسة هذا الجانب واعتباره وجها من وجوه دلالة المكان "[2]

ولأن المكان جزء من تاريخنا ومن حياتنا فقد شكلت منه الإنسانية رمزيتها وفنيتها إذ اتخذت منه عجائبها السبع، لأن حقيقة كل أعجوبة هي حقيقة مكان.

[1] المصدر نفسه، ص19.

[2] إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغربية، منشورات الاتصال النشر والتوزيع ، الجزائر، 2002،ص43.

وتعد الدلالة الرمزية من أكثر الدلالات حضورا في القصة إذ برزت فيها موهبة الكاتبة بامتلاكها قدرة لغوية بارعة، وهي ما جعلت المكان يحتوي على دلالة فنية

ومن ذلك نجد مثل توظيف الكاتبة في القصة يا نشئ أنت رجاؤنا توظيفها لمدينة قسنطينة التي تحتوي أكثر من دلالة رمزية، ففي موضع تصبح رمزا للجمال والعطاء، وذلك: "...فتنة عروس تتهادى فوق صخرة عتيقة، وتتجلى في لونها الفضي أسطورة جسور تعتصم بها سيرتا فتحصنها ضد النسيان وتحفظ لها تألقها وتميزها عن سائر المدن ..."[1] ، وفي موضوع آخر دلالة للبأس والألم وذلك في قول: "وهين مدينة طاعنة في التاريخ "[2] وفي: " وجه مدينة أيلة للتلاشي "[3] وبين هذين الموضعين يصبح رمزا وسبب للإبداع والإلهام.

ومن هنا تتعدد الدلالة حسب التوظيف ورؤية الشخصية لها أما الجانب الفني هنا نجده يعمل على تكملة أوجه النقص الموجودة.

والملاحظ على هذه الدلالة أنها لم تقف عند المكان كجغرافيا بل تتعداه إلى تصورات، إذ تختلف دلالتها من مكان إلى آخر إذ تتحول قسنطينة من مكان حاو لموضوع إلى موضوع في حد ذاته"، فالقنوع هي الإبداع الإنساني الذي تخلق من خلاله عوالم موازية للعالم المحسوس الذي نعيش فيه "[4].

ومن شأن الدلالة الرمزية أن تبرز أكثر من دلالة من خلال الرسم وهو ما يتجلى في اللوحات الفنية إذ تعكس جانبا من جوانبها بطرق رمزية

كما تم توظيف النهر الذي يدل على أنه الأنيس والملجأ الي يهرع إليه الفرد من أجل الراحة ومنال ذلك في قصة جنون فوق العادة "عندما تداهمه نوبة الجنون المفاجئ يعلق تفاصيل حياته اليومية على مشجب هوة سحيقة ويهرع إلى النهر الذي يحاذي القرية ويلامسها

[1] زكية علال: شرايين عارية ص79.

[2] مصدر نفسه ص78.

[3] زكية علال: شرايين عارية، ص49.

[4] سيزا قاسم: القارئ والنص والعلامة والدلالة ص50.

باستحياء شديد "[1] وهنا تكمن القيمة الدلالية الرمزية للنهر وما يحيل إليه من تحقيق الراحة والاسترخاء للشخصية.

2_4 الدلالة الوظيفية:

وهي نوع من الدلالة التي يمتلكها المكا من خلال النص القصصي، والمقصود بهذه الدلالة تمكنه من إنجاز مهام دون غيره من الأمكنة، وتلعب الشخصية الدور المهم في إبراز هذه الدلالة كاحتواء المكان نوعا من الخصوصية، مما يسمح بلقاء الشخصيات كاجتماع قادة سياسيين في غرفة الاجتماعات، وهنا نجد أن هذه الغرفة قد أدت دورها من خلال السرية الموجودة فيها، أو كلقاء الأصدقاء في الجامعات لما فيه من حميمية وبالتالي فكلا المكانين قد أديا وظيفة بتوفير الأجواء المناسبة لشخوصهما.

يمكن لبعض الأمكنة أ تحتوي على دلالات وظيفية من خلال الاسم الذي تحمله، وهنا ندرج بعض الأمكنة على سبيل المثال:

2_4_1 السجن:

وهو أحد الأمكنة حظيت بحضور قوي في النص سواء في جانبه المادي أو المعنوي، فهو رمز للحرية والقهر وهو مكان يقوم بوظيفة تقيد الشخصيات وقهر حريتهم، لكنه يساعد على فتح أبواب الذاكرة، ونسج خيوط الأمل، لأن الشخصية فيه غالبا ما تخل مع ذاتها في حوار وجدل طويل.

فالسجن دلالة على تقيد الحرية والانعزال عن العالم " تجرع رشيد وعائلته مرارة " الحقرة " والتزام الصمت، لكن "القايد" لم يكتف بحرمانه من خطيبته، بل أسر إلى الضابط الفرنسي، أن أباه "فلاق" وكانت له يد في مقتل عدد كبير من الجنود الفرنسيين، فقيد إلى السجن ليعود بعد سنوات من العذاب ..."[2].

[1] زكية علال: مرجع سابق، ص49.

[2] زكية علال: شرايين عارية، ص22.

فهنا دلالة على أن السج بالنسبة لرشيد هو الكابوس والمعزل عن حب العائلة.

كما نجد أيضا في المدونة:" عندئذ تملكت مصطفى هستيريا جعلته يتيه في عالم من الصراخ والبكاء ويدخل في غيبوبة لم يقف منها إلا وهو داخل السجن "[1].

من خلال المقطعين اتخذ السجن مدلوله الحقيقي وتحول إلى كابوس يجثم على صدر كل من رشيد ومصطفى ولذلك يمكن القول حتى لو أنه في بيته تحاصره الأشباح والكوابيس نتيجة للأحداث التي شاهداها.

فإذا كانت الإنسانية هي جوهر الوجود وفعل القيم الأساسية للحياة فإن السجن هو سلب لهذه الحرية وبالتالي سلب الوجود وإهدار للحياة بكل ما تنطوي عليه من أحلام وآمال ورؤى لكل من رشيد ومصطفى.

2_4_2 المحلات والمتاجر:

وهي من أهم الأماكن بالنسبة للشخصية إذ تعمل على تأدية وظيفة اقتصادية، من خلال البيع والشراء كما تعمل على لقاء الشخصيات وتعارفها من خلال العلاقات الشرائية ولقد كان لكل من المحل والمتجر والمعرض حضورا في النص لقول الكاتبة:" منصب على مساحات النهار كبائع في متجر لبيع ملابس نسائية "[2]، ونجد أيضا: "وتخرج من المحل وهي تهديني ابتسامة اعتذار"[3].

واتخذت هذه الأمكنة مدلولات اجتماعية تعكس في التفاعل بين أفراد المجتمع وتعكس من جهة أخرى المحاورات الاجتماعية المختلفة، تجسد هذا التفاعل الاجتماعي واكون أقرب إلى الواقع المعيش للإنسان في حياته.

[1] المصدر نفسه، ص56.

[2] زكية علال: شرايين عارية، ص56.

[3] مصدر نفسه، ص43.

وتنقلنا زكية علال إلى مكان اجتماعي أوسع من المحل والمتجر وهو المعرض في قولها: " رغم أن المعرض كان يعج بالزبائن"[1].

فبالرغم من مدلولها التفاعلي الاجتماعي إلا أن لها مدلولات الربح والالتقاء والاقناع والتعارب.

2_4_3 المقهى:

يعد هذا المكان قاسما مشتركا للأمكنة التي تحيا فيها الشخصية إذ يكاد يكون محطة ثالثة تتوسط البيت والعمل وهو يقوم بوظيفة ترفيهية، ونجد في القصة "أجلس مع أصدقائي في مقهى "نجمة "...تشعب بنا الحديث الذي تغلب عليه السياس "[2].

وهنا إشارة إلى أن للمقهى دلالة حيوية في الربط بين الأفراد من خلال الجوار، مما يجعلها عنصرا موثقا تبدي فعاليته في لغة الخطاب اليومي، إذ تكاد تكون دلالة المقهى منعدمة لا تتجاوز الفهم الوظيفي لها من حيث هي مجرد مكان للجلوس لاحتساء الشاي.

3_ علاقة المكان بالعناصر الروائية الأخرى:

يتكون العمل الأدبي من مجموعة من العناصر القابلة للتجزئة وهي (الزمان، الشخصية، الحدث ...) وتهدف من خلال هذه التجزئة إلى معرفة طريقة تشكل هذا العمل والبحث الذي\\\ يرتكز على عنصر واحد من هذه العناصر لا يعني أنه سيهمل العناصر القصصية الأخرى، وبما أننا بصدد دراسة بنية المكان في المجموعة القصصية شرايين عارية، سنتطرق إلى علاقة المكان بالزمن والشخصية والحدث في هذه القصة ذلك أن المكان يفرض التصورات التي تربطه بهذه العناصر

[1] مصدر نفسه، ص26.

[2] زكية علال: شرايين عارية، ص14.

3_1 علاقة المكان بالزمن:

"إن العلاقة بين الزمان والمكان أساسية لأنها تشخص جدلية الواقع في الحياة وتشخص جدلية الواقع الروائي في حد ذاته "[1] فعنصري الزمان والمكا يتفاعلان ويتبادلان التأثير وبالتالي فإن عزل المكان عن الزمان شيء لا يمكن تصوره بغير المكان أكثر التصاقا بحياة الإنسان فيرك الزمان إدراكا غير مباشر من خلال فعله في الأشياء، فالمكان يدرك إدراكا حسيا مباشرا، كما أن تجسيد المكان في القصة يختلف عن تجسيد الزمن، فالمكان هو الخلفية التي تقع فيها الأحداث، أما الزمن فيمثل الأحداث نفسها وتطورها.

وفي قصة "ذاكرة من أربعة طوابق " برزت علاقة الزمن بالمكان في كون الكاتبة تشير إلى فترتين زمنيتين عاشهما الطالب:

الفترة الأولى: هي ما قبل خروجه من الجامعة ونهاية السنة الدراسية حيث تصف لنا القصة حقبة زمنية هي نهاية الربيع وبداية الصيف وجاء في القصة: " بدأ بانكسار فرحته الأولى وهو يخرج من البوابة الكبرى للجامعة ، كان يحمل شهادة جامعية عليا تدل على تفوقه ونبوغه المتميز الذي ظل يلازمه "[2].

أما الفترة الثانية: هي فترة حصوله على تعيين كمتعاون مع إذاعة محلية بالجنوب وجاء في القصة " ثم مدد في الحقيبة فرحته الأولى وهو يحصل على أول تعيين كمتعاون في إذاعة محلية بالجنوب كان هو يزودها بأخبار ساخنة عن مدين يحصرها الصقيع "[3]

من خلال هذين الفترتين الزمنيتين اللتين عاشهما أيام الجامعة وفرحتها وزم حصوله على الوظيفة.

[1] محمد برادة: الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ط1، 1991، ص212.

[2] زكية علال: شرايين عارية، ص9.

[3] المصدر نفسه، ص10.

إذ نجد أن الزمن يعمل على اتساع رقعة المكان في القصة فنهاية الدراسة هنا لها دور في تكبير عالم القصة الذي يشمل على جانب الأماكن المعهودة : طريق الجامعة، الشوارع إذاعة محلية، بالإضافة إلى زيادة حضور الشخصيات في هذا المكان.

3_2 علاقة المكان بالشخصية:

تلعب الشخصية الدور الكبير في العمل الإبداعي إذ تشكل بناءه وتحكم نسيجه بالتفاعل مع الحدث وإضفاء الحركية والحياة في عالم النص، قد تحول هذا العالم من نسيج متخيل إلى حقيقة واقعية يعيشها القارئ دون أن يرى فيها فرقا بينها وبين واقعه وعليه فإن القصة بلا شخصية تعد عملا مبتورا في جميع جوانبه ويعرفها الدكتور عطا الله البطرس بقوله: "إن الشخصية هب الشيء المميز لكا الأعمال السردية فهي واسطة العقد بين جميع عناصر العمل الروائي فهي حاملة للغة وناقلة للحوار"[1]، وبعد اقتصار الشخصية على الأفراد الذين يقومون بتحريك الأحداث قصد الوصول بها إلى الحبكة ومن ثم إلى الحل، وعليه فالشخصية ليست هي الشخصية فقط، بل قد يلعب الشيء الجامد دور الشخصية فيخرج من صمته وجماده إلى دور يتجاوز دور الشخصية الحية.

إذن الشخصية تعمل كمحرك أساسي للعمل الفني، فهي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي فأهم أداة يستخدمها القاص لتصوير هذه الحوادث.

" فالشخصية المتميزة تقدم بناء ملامحها ومكوناتها تدريجيا ولا تكتسب أبعادها الخاصة من خلال علاقتها بالفضاء "[2]، أي يقدم لنا المكان يد المساعدة للتعرف على الشخصية، ذلك أن القراءة الدلالية للمكان توضح لنا ملامح الشخصية.

وتظهر علاقة المكان بالشخصية في القصة التي نحن بصدد دراستها من خلال وجود أماكن متعددة، تلك الأماكن التي ملأتها شخصيا القصة من بينهم سمير ورفقائه من خلال التردد على مقهى "نجمة" من أجل تبادل الحديث الذي يغلب عليه حديث السياسة

[1] عاطف عطا الله البطرس: ذاكرة الجسد العلاقة بين شخصية الكاتب ومخلوقاته الإبداعية، منتديات، مرمتا،2016.

[2] سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، المركز العربي الثقافي، ط1، بيروت 1992، ص65.

وقراءة الجرائد والتطلع على أخبار البلاد وجاء في قصة ضريبة الأحلام " أجلس مع أصدقائي في مقهى نجمة ...يتشعب بنا الحديث الذي تغلب عليه السياسة فهو كما يقول عنها سمير رغيف الشعوب الفقيرة التي لا تجد ما تقتاته "[1].

كما يؤدي تغير المكان إلى تحول الحالة النفسية للشخصية ذلك أن هذه الأخيرة قد تعجز عن التأقلم مع المكان الجديد ونجد في قصة نزيف آخر الشرايين الحالة النفسية التي عانى منها رشيد بذهابه إلى فرنسا حيث تأزمت حالته النفسية أكثر، خاصة عندما كانت العائلة لم تحس بصمته وانكساره الداخلي ولا أحد يريد تحقيق رغبته، حيث أصبح وطنه الجزائر أطلالا تحولت إلى مقبرة دفن فيها ذكرياته.

أما عند عودته إلى الجزائر لأول مرة ورؤيته الجزائر حرة مستقلة غمرته البهجة والسرور بعد تأنيب الضمير الذي انتابه عند خيانته للثورة.

إذن نجد أن المكان له دور كبير في التأثير والتأثر على الشخصية في العمل الأدبي وسيرورة الأحداث.

3_3 علاقة المكان بالحدث:

تتشكل الأمكنة القصصية من خلال الأحداث التي يقوم بها الابطال، ومن المميزات التي تخصهم، وهذا الارتباط الإلزامي بين المكان القصصي والحدث هو الذي يعطي القصة تماسكها وانسجامها، فالمكان هو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث.

ولقد ركزت زكية علال في المجموعة القصصية على الشخصيات مثل: رشيد، مصطفى، عمار... متتبعة التغيرات التي تحدث معهم من فترة إلى فترة ومن مكان إلى آخر، فبتغير الأماكن تتغير الأحداث داخل القصة.

مثل تغير وقائع الأحداث في ضريبة الأحلام مثل ما حدث مع مراد عندما تعرف على أمال فبدأت الأحداث بالتغير، ولقد ركزت زكية علال في القصة على شخصية مراد

[1] زكية علال: شرايين عارية، ص14.

متتبعة التغيرات التي تحدث معه من فترة قبل وبعد تعرفه على أمال إلى فترة زواجها من صديقه عمار " كنت أعانق سعادة كبيرة وأنا أقود سيارتي قاصدا محل صديقي عمار لشراء هدية تليق بمقامها(...) في منعرج خطير وجدت نفسي امام شاحنة كبيرة لنقل البضائع حاولت أن أعود إلى الوراء أن أغير الاتجاه، أن ... ولم أفق إلا وأنا نائم على سرير في المستشفى(...) سألت أخي عنها فتغيرت ملامحه ولم يجبي(...) ولكن بعد إلحاحي أخبرني أنها تزوجت"[1].

إن الإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى أو سيجري فيه حدث ما وهذا ما نلمسه في المجموعة القصصية حيث تشير الكاتبة إلى أمكنة صارت فيها أحداث فمثلا عندما نذكر الجبل فإنه تذكر عنده الأحداث التي جرت فيه أثناء الثورة بالإضافة إلى أماكن أخرى مثل المدينة، المستشفى، الجامعة التي لكل منها أحداثها.

[1] زكية علال: شرايين عارية، ص 16_17.

خاتمة

خاتمة

وفي الختام وقبل أن نضع نقطة النهاية لبحثنا نود أن نحمل أبرز النتائج التي توصلنا إليها على النحو التالي:

_ يطالعنا المكان في قصص هذه المجموعة من أولها إلى آخرها أنه جوهر مادتها، وازداد حضوره وتأثيره أنه ليس مكانا متخيلا مفترضا صنعته تقنيات السرد القصصي وخيال المؤلف، بل هو مكان تاريخي حقيقي فقلي له وجود وهوية.

_ بالرغم من الاختلاف الموجود بين الفضاء والمكان اصطلاحا فالفضاء هو الحيز الذي يتضمن المكان، إلا أن المعنى يغطي ذلك الاختلاف.

_ بناء على الدراسة التي تناولناها فإن أهمية المكان لا يمكن أن تحصر في مكان دون آخر، لأن دور الأمكنة يتداخل فيما بينها.

_ يربط الوصف مع المكان علاقة حميمية، وطيدة فبالوصف تتحدد معالم المكان وتتجلى وبه تتحقق مصداقيته و واقعيته لدى القارئ .

_ إن صفة التقاطب التي يتكون منها هي في الواقع من اكتشاف عالم الكمياء التي أشار إليها كل من أرسطو في كتابه وباشلار وهذه الصفة تقوم على أساس الثنائيات الضدية وتجمع بين قوى وعناصر متعارضة، وتظهر أهميتها في مدى مساهمتها في تكثيف الدلالة وعمق المكان .

_ أخد المكان مجموعة من التشكيلات الثنائية في القصة أبرزها تشكيلات المكان المفتوح والمغلق، المقدس والمدنس، القرب والبعيد، وقد يتداخل طرف الثنائية الضدية في تشكل فني إيحائي يتحول في المكان المعادي إلى مكان أليف أو العكس؟

_ أما تشكيل الدلالات المكانية ظهرت عندها في تعدد الرموز والدلالات الإشارية للمكان؟

_ ارتبط الزمان بالمكان لأن إدراك الزمان لا يتم إلا من خلال المظاهر المكانية، كما نجد أن الشخصية هي الذات الفاعلة التي تعمل على تحقيق الحدث.

الملخص

الملخص:

يعد المكان من الدراسات التي تطرق إليها العديد من الباحثين وذلك نتيجة لإرتباط الإنسان به وتعمق شعوره وإنتماءه إليه وبما أن دراستنا هو المكان في المجموعة القصصية شرايين عارية " لزكية علال " متبعين في ذلك المنهج السيميائي،

أما عن الخطة فقد تضمنت تمهيدا وفصلين وخاتمة، فقد عرضنا في الفصل الأول، تعريف المكان لغة واصطلاحا والفرق بينه وبين الفضاء، ثم تحدثنا عن المصطلحات المقاربة للمكان من حيث المفهوم ثم أهميته، بالإضافة الى الوصف والمكان، والمكان الهندسي والمكان القصصي، ومستويات وتصنيفات المكان.

وفي الفصل الثاني تناولنا أنواع المكان ودلالته وعلاقته بالعناصر الروائية الأخرى.

أما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث.

Résumé:

Notre recherche se concentre sur le thème " lieu " dans lequel il a discuté un certain nombre de chercheurs, cela montre l'importance du sujet, qui est mesurée par relation entre l'humain et le lieu, et la profondeur de son sentiment d'appartenance à lui.

Cette étude porte sur le thème " lieu" dans le recueil de nouveaux intitulés " artères nues " par l'écrivain " Zakia Allal " nous avons étudié ce sujet en utilisant la méthodologie de la sémiologie.

Pour faciliter l'étude du sujet, nous avons divisé le travail comme suite : introduction et deux chapitres et une conclusion.

Le premier chapitre est consacré pour la définition linguistique et idiomatiques du lieu, st la distinction entre les termes relatives, et clarifier les descriptions et les niveaux de lieu, alors que le deuxième chapitre a été consacré la présentation des types de lieu et de ses significations, et sa relation avec les autres éléments de l'histoire.

Enfin ; en conclusion nous avons présenté les résultats les plus important de cette recherche.

Mots clés : lieu, lieu d'ingénierie, lieu a histoire.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1_ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: ابن منظور، لسان العرب، مجلد 13، دار صادر، ط1، بيروت، 1990.

2_ أبو نواس الحسين بن هاني الحكمي الدمشقي: إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1986.

3_ إبراهيم الجندي: الفضاء الروائي عند جيرا إبراهيم حبرا، دار الشروق الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2001.

4_ إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات الإتصال للنشر والتوزيع، ط1، 2002.

5_ إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، الأردن، د.ط ، 2003.

6- أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة، القاهرة، ط 10، 1994.

7_ أحمد رضا: معجم متن اللغة، المجلد 05، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960، ص 344.

8_ أحمد زنبير: من تشاكل الفضاء إلى فضاء التشاكل، مجلة أفاق، منشورات إتحاد كتاب العرب، المغرب، ع 81. 82، 2012.

9_ أحمد شريط: "الزلزال" تأويل الشخصيات والمكان، مجلة المساءلة، ع1، 1991.

10_ أحمد طاهر حسين: جماليات المكان، مجموعة الباحثين، البحث ظروف المكان في النحو العربي وطرق توظيفه في الشعر.

11_ إحسان عباس: فن الشعر، الجامعة الأمريكية، بيروت، دار صادر، بيروت، دار الشروق، عمان، الأردن، ط2، 1996.

12_ السعيد الوراقى: الرواية العربية واقع وأفاق، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ط1، 1991.

13_ أنطوان المقدسي: عندما يصير المكان فسحة، مجلة المساء التونسية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2001.

14_ جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية، ج1، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1982.

15_ جيهان أبو العمرين: جماليات المكان في شعر تميم البرغوثي، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.

16_ حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999.

17_ حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990.

18_ حسين بحراوي عند أحمد زياد مجيك: جماليات المكان في الرواية، ديوان السرد والقصص، منتدى ديوان العرب، حلب، 6 يونيو 2006.

19_ حسين نجمي: شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2000.

20_ حميد حميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1991.

21_ رشيد بن مالك: السميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 1991.

22_ زكية علال: شرايين عارية، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

23_ سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، المركز العربي الثقافي، ط1، بيروت، 1992.

24_ سعيد يقطين: قال الراوي، البنيات الفضائية في السيرة الشعبية، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1997.

25_ سوسن البياني: أساطير العراق القديمة، البابلية والسومرية، دراسة في شكلها السردي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، اللاذقية، 2010.

26_ سيزا قاسم: القارئ والنص العلامة، دلالة المجلس الأعلى للثقافية القاهرة، د.ط، 2002.

27_ سيزا قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، منشورات الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1984.

28_ شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1924.

29_ شاكر عبدالحميد: الوعيب بإمكان ودلالته في قصص محمد العمري، مجلة فصول، مجلد 13، ع1، 1990.

30_ صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السرد، في روايات عبدالرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.

31_ طاهر عبد المسلم: عبقرية الصورة والمكان، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000.

32_ عابد مهدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2011.

33_ عاطف عطاالله البطرس: ذاكرة الجسد، العلاقة بين شخصية الكاتب ومخلوقاته الإبداعية، منديات مرمتا، 2016.

34_ عبدالرحيم مراشدة: الفضاء الروائي، الرواية في الأردن نموذجا، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1997.

35_ عبدالعزيز شبيل: الفن الروائي عند غادة السمان، دار المعرفة للطباعة، سوسة، تونس، ط1، 2003.

36_ عبدالمالك مرتاضى: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، مجلة المعرفة، الكويت، 1989.

37_ عزالدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط4.

38_ علي جعفر العلاق: الدلالة المرئية، قراءة في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2004.

39_ غاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة، غالب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986.

40_ قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001.

41_ محمد الدغموني: المكان القصصي، مجلة أفاق، منشورات إتحاد كتاب العرب، ع 81، 82، 2012.

42_ محمد برادة: الرواية العربية واقع وأفاق، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ط1، 1991.

43_ محمد عابد الجابري: بنية الحقل العربي، دراسة تحليلة نقدية، لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1996.

44_ مصطفى التواتي: دراسة في رواية نجيب محفوظ، اللص، الكلاب، الطريق، الشحاذ، دار العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2008.

45_ مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في الشعر العربي، 1954-1962 ، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1998.

46_ مصطفى عبدالعزيز: مرجع في التعليم البيئي لمراحل التعليم العام.

47_ ناصر الحاثي: من اصطلاحات الأدب الغربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، 1959.

48_ نورة عبدالرحمن: وظيفة المكان وأهميته في الرواية العربية المعاصرة، شبكة الفن والإعلام الكويتية الخليجية، المنديات الفنية والإعلامية، الفكر والثقافة، 17،09،2009.

49_ هاني عبيد: الإنسان والبيئة – منظومات الطاقة والبيئة والسكان، دار الشروق، عمان، الأردن، 2000.

50_ يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، عيون المقالات، الدار البيضاء المغرب، ط2، 1988.

الفهرس

الفصل الأول	**27_8**
مقدمة	**أ _ ج**
تمهيد	**10**
1_ تعريف المكان	**10**
2_ المصطلحات المقاربة للمكان من حيث المفهوم	**14**
2_1 الإمتداد	**14**
2_2 البيئة	**14**
2_3 الحيز	**15**
2_4 الخلاء	**15**
2_5 الفسحة	**15**
2_6 الفضاء	**16**
2_7 المحل والموضع	**16**
3_ الفارقة الإصلاحية بين المكان والفضاء	**16**
4_ أهمية المكان	**19**
5 _ الوصف والمكان	**21**
6_ المكان الهندسي والمكان القصصي	**22**
6_1 المكان المجازي	**23**
6_2 المكان الهندسي	**23**

3_6 المكان بوصفه تجربة 23
7 مستويات وتصنيفات المكان 23
1_7 التقاطبات المكانية 23
2_7 التقاطبات الثقافية 23
الفصل الثاني 53_28
1_ أنواع المكان 29
1_1 المكان المفتوح 29
2_1 المكان المغلق 33
3_1 الأماكن المقدسة والمدنسة 37
4_1 المكان القريب والبعيد 39
2_ دلالة المكان 41
1_2 الدلالة التعبيرية 42
2_2 الدلالة الدينية 44
3_2 الدلالة الرمزية 45
4_2 الدلالة الوظيفية 46
3_ علاقة المكان بالزمن 49
1_3 علاقة المكان بالشخصية 50
2_3 علاقة المكان بالحدث 52

خاتمة **55**

الملخص **57**

قائمة المصادر والمراجع **60**

الفهرس **68_65**